أولا: الآخر.. تناول تاريخى..

الحديث عن الآخر يتضمن الحديث عن الذات ، وهناك ارتباط وثيق بين (الذات والآخر) وهذا الارتباط بين الذات والآخر يحمل فى طياته الإيجاب والسلب.. بمعنى قد يكون ذلك الارتباط إيجابياً وقد يكون سلبياً.. وإذا حاولنا تناول القضية فى الفلسفة اليونانية.

فكرة الآخر فى الفلسفة اليونانية :

يمكن القول بأن فكرة " الآخر" كان لها دوراً أساسياً عند سقراط.. فكما يقال عنه أنه هو الذى أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض ، فقد كانت الفلسفة قبله توجه كل اهتمامها لدراسة الوجود الخارجى ، ولكن سقراط اهتم اهتماماً بالغاً بدراسة الإنسان وخاصة الجانب العقلى والأخلاقى منه.. وسقراط اعتمد فى فلسفته اعتماداً كلياً على "الآخر" إذ كانت طريقته الحوار والنقاش.. يقول عنه هنرى توماس فهو يتوق إلى كشف جهله قدر ما يتوق إلى كشف جهل غيره ، فقد كان هدفه الوحيد أن يصل إلى الحق عن طريق استبعاد الباطل والتخلص منه.. انى أسير فى أعقاب الحق وأتلمس آثاره تلمس كلب الصيد للفريسة.[1] هذه المحاولة من سقراط لوصوله إلى الحق المنشود يتطلب "الآخر" الذى يساعده على أن يعرف ذاته.. ومن ثم يعرف سقراط ذاته أيضاً ، إن الحقيقة تحتاج "للأنا والأنت"..

ويمكن القول أن الفلسفة السقراطية اعتمدت على فكرة أساسية أو كان جوهرها منصب على الأخلاق. والأخلاق كمفهوم وكسلوك تتم بين

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

"الذات" و "الآخر" وعندما تعرف الذات جوهر الأخـــلاق ينصلـــح حـــال المجتمع.. يقول عبد الرحمن بدوى "المبدأ الرئيســـى الـــذى تقـــوم عليـــه الأخلاق السقراطية هو أن الفضيلة هى العلم فالتقوى هى العلم بما يجـــب على الإنسان نحو الله ، والعدالة هى العلم بما يجب على الإنســـان نحـــو الآخرين ، والقناعة أو ضبط النفس هى العلم بما يجب على الإنسان نحو نفسه ، والفضيلة واحدة حتى ولو اختلفت الأجيال لأن ما يجعـــل الشـــىء فاضلاً بالنسبة إلى الإنسان فى سن الشباب هو بعينه ما يجعلـــه فـــاضلاً بالنسبة إليه فى سن الشيخوخة. وهنا نلاحظ أن الاختلاف فى الحالتين إنما هو اختلاف فى التربية والمران. فالتربية إذن شىء أساسى فـــى تكويـــن الفضائل فى الإنسان.(٢)

وعندما نتأمل الفلسفة السقراطية سنجدها تنصب انصبابـــاً علـــى "الآخر" فهو يقول.. الفضيلة علم والرذيلة جهل وفى فلسفته كـــان يرتكـــز على الحوار والجدل.. هذا الحوار والجدل يعتمد على "الآخر" مـــن أجـــل إيصال العلم ومن أجل إيضاح مفهوم الفضيلة ومفهوم الرذيلة وقـــد اتخـــذ سقراط شعار "أيها الإنسان أعرف نفسك بنفسك" شعاراً لفلسفته والأولى أن يكون الشعار.. "أيها الإنسان أعرف نفسك بالآخر". والآخر عند ســـقراط هو من يسمع لصوت العقل ولصوت الخير ، أما "الآخر" الجاهل والرافض للعلم والعقل فهو مرفوض لأنه فى ضلال مبين.. وعندما يتحدث ســـقراط إلى القضاة عند محاكمته كان ينظر إليهم ويتمنى أن يكونوا ذلك "الآخـــر" الفاضل العارف بالفضيلة والسامع لصوت الله.. يقول سقراط لقضاتـــه : "إننى أفضل أن أموت وقد قلت ما يبدو لى أنه حق ، على أن أعيش لأقول مضطراً ما ترون أنتم أنه حق ، كما أن الصوت الإلهى الذى كثـــيراً مـــا

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

اسمعه والذى ينهانى دائماً عن الاقتراب من الشر ، لم يحذرنى من شـــىء فى هذه المحاكمة ، فكيف يمكن تفسير هذا الصمت ؟ دعونى أوضح لكم ، فما هذا الصمت إلا إشارة إلىّ بأن ما أصابنى هو الخير ، وأن أولئك الذين يحسبون الموت شراً لفى ضلال مبين".(٣)

لقد مات سقراط شهيداً للحق والمعرفة ، مات سقراط لأن "الآخر" لم يفهم لغة العقل "فالآخر" جاهل وحاول سقراط أن يجعل مـــن "الآخـــر" فاضلاً وعالماً بالحقيقة ولكن من المؤسف أن الآخر كان غبياً وجاهلاً..

الآخر عند أفلاطون..

بالنظر إلى فلسفة أفلاطون سوف يتضح لنا نوع من الارتباك فى موقف أفلاطون أو قل كانت مواقفه متناقضة.. ففى رسمه للدولة فى كتاب الجمهورية نجد أن الآخر يتسم فى تقسيماته بنوع من العبودية والتدنـــى ، ففى دولته لا نجد فكرة التساوى أو قل (الندية) لدى الأفراد. حيث تتحـــدد الشخصية بنوع الطبقة التى يوجد فيها.

إذن يريد أفلاطون أن يقنع كل المواطنين بـــأن الآلهـــة قســـمتهم وميزتهم وخلقت بعضهم ليكونوا حرفيين وبعضهم جنوداً ، وقلة ليكونـــوا حكاماً ومدينته لا تفعل أكثر من تجسيد الإرادة الإلهية وتنظيـــم المجتمـــع حسب مشيئتها.

سأحاول.. يقول أفلاطون : "إقناع القضاة والجنود أولاً ، ثم بقيـــة المواطنين بعد ذلك ، بأن التربية التى تلقوها والتى يلمسون آثارها ليســـت أكثر من حلم ووهم ، وبأن الأرض أنجبتهم على مـــا هـــم عليـــه ، منـــذ ولادتهم ، ولهذا يجب أن يحسبوها أمهم ويحافظوا على ويجب أن يعتبروا

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

مواطنيهم أخوة خرجوا من نفس هذه الأرض. ثم يكمل هـذه الأسـطورة بقوله : "تقول لهم أن الإله الذى سواكم وضع الذهب فى جبلة أولئك الذين يمكن أن يكونوا حكاماً ، والفضة فى جبلة بقية الحماة ، والحديد والنحاس فى جبلة الفلاحين ، وبقية الحرفيين ، وأولادكم يشبهونكم عادة ، إلا أنه قد يخرج فى بعض الحالات النادرة من الذهب فضة ، ومن الفضـة ذهبـاً ، ومن الحديد والنحاس فضة أو ذهب ، ومن الذهب والفضة حديد ونحاس. لذلك يفرض الله على القضاة مراقبة معدن الأولاد وتصنيفهم بحسبه ورفع الذهب الذى يخرج من بقية المعادن إلى الطبيعة الذهبية".

إلا أننا عندما ندرس قوانين الزواج عند أفلاطون نلاحظ اهتمامـه بالحفاظ على أصالة (المعادن) واستحالة اختلاطها وتأمين كل الظـروف التى تسمح للذهب إلا أن يلد ذهباً وللحديد أن يلد حديداً ، ويرى أفلاطـون خلاص للمجتمع والأجيال البشـرية بتنظيـم الدولـة حسـب (معـادن) المواطنين[٤] هنا.نجد أن "الآخر" تتحدد النظرة إليه وتتحدد مكانتـه علـى أساس نوع الطبيعة التى وجد فيها .. ومن الغريب أن أفلاطون كان ينطلق فى فلسفته من فكرة اقتنع بها أشد الاقتناع ألا وهى فكرة (العبوديـة) ... يقول أفلاطون .. "على الإنسان فى الحرب والسلم أن يكرس ولاءه لزعيم وأن يتبعه عن ثقة ، عليه أن يظل تحت قيادة زعيم حتى فى أتفه المسائل، فمثلاً لا يصحو ولا يتحرك ولا يغتسل ولا يأكل إلا بعد أن يؤمر بذلـك.. وفى كلمة ، عليه أن يدرب نفسه بالمران الطويل على ألا يحلـم إطلاقـاً بالقيام بفعل قائم على استقلال ، إلى حد أن يصبح فى الواقع عاجزاً عـن ذلك تماماً.. ". والآن ما هى يا ترى العدالة ؟ والحق أن أفلاطون صريح هنا كل الصراحة : يجب أن يلقن الناس أن العدالة معناها اللامساواة[٥]..

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وعلى حد تعبير الأستاذ بوبر أن المبدأ القائل أن على كل طبقة أن تعنى بشئونها فقط معناه وباختصار وصراحة أن الدولة عادلة عندما يحكم الحاكم ، وعندما يعمل العامل وعندما يظل العبد عبداً.(٦)

إن نظرية أفلاطون السياسية التى يتصور فيها إمكانية قيام دولة أو مدينة مثالية يتحقق فيها نوع من العدل والمساواة بين أفراد المجتمع ، لا تخلو من صعوبات نستطيع إجمالها فيما يلى :

١- لا قيمة للإنسان فى مدينة أفلاطون من حيث هو إنسان وإنما هو موجود فقط من أجل قيام المدينة وكأنه عدد مجرد أو شكل هندسى لازم لاكتمال المدينة.

٢- أخطأ أفلاطون خطئاً فاحشاً حينما قال بقتل الأطفال الزائدين عن حاجة المدينة أو الضعفاء والمرضى والعجزة والمشوهين ، وإن ذلك يتعارض تماماً مع مذهبه القائل بعلو النفس وشرفها على البدن ، فلو نظر أفلاطون إلى مذهبه هذا لما قال بقتل الأطفال الأبرياء.

٣- أخطأ أفلاطون أيضاً فى فهمه لطبيعة المرأة وحقيقة شأنها فى المجتمع وذلك حينما أخذ على الأسبرطيين الغلظاء بدعة توظيفها محاربة فى الجيش ، فلو رجع إلى مذهبه القائل بروحانية النفس وعلوها لكان قد احترم النفس فى كل جسم ولم يزهقها جزافاً ، مع العلم أن بعض البلدان التى تأخذ بالنظام الشيوعى قد أبعدت المرأة عن مزاولة بعض الأعمال الشاقة كالجندية وغيرها لما لهذه الأعمال من تأثير سيئ على التكوين الفسيولوجى.(٧)

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وعلى الجانب الآخر نجد أن أفلاطون فى النظرة الأخلاقية ينظر للإنسان أو الشخصية بأنه تتجه إلى مثال الخير فالهدف أو الغاية للنفس هو الوصول إلى قمة عالم المثل (الخير).. وفى هذه النظرة الأخلاقية نجد أن "الآخر" يقف على قدم المساواة مع الذات.

الآخر عند أرسطو..

يعتقد أرسطو أن الق نظام طبيعى فرضته الطبيعة نفسها وليس من صنع البشر ، ولما كانت "الطبيعة لا تفعل شيئاً باطلاً" فإن لهذا النظام ما يبرره ، فهناك أناس مهيئون بطبيعتهم لأن يكونوا عبيداً ، ذلك لأن التفرقة بين الأعلى والأدنى موجودة فى الطبيعة وفى جميع الأشياء.. بين النفس والبدن. فالنفس أعلى من البدن وبالتالى كان من الطبيعى أن تسيطر عليه وأن توجهه.. وقل مثل ذلك فى التفرقة بين الإنسان والحيوان بعامة ، وبين الذكر والأنثى بصفة خاصة .. وأينما وجدنا هذه التفرقة ، فإن من الأفضل أن يحكم الجانب الأعلى وأن يطيع الجانب الأدنى. ومن هنا نجد أن بعض الناس هم بطبيعتهم (سادة) ، وبعضهم الآخر (عبيد) ، فالرق بالنسبة لهؤلاء نافع بمقدار ما هو عادل. وينتهى أرسطو من ذلك إلى الحكم على بعض الأجناس بأنهم رقيق بالطبيعة ، والبعض الآخر أحرار. وقد خص الإغريق بأنهم سادة لا يجوز استرقاقهم ؛ لأنهم ورثوا الروح العالية والشجاعة التى تميز أهل الشمال ، الذكاء الذى يتميز به الشرقيون. وتأكيد للنظرة الطبيعية نرى أرسطو فى حديثه عن الصداقة تأكيد لفكرة الطبقة.. أن الصداقة تقوم فى الأساس على المساواة فى المكانة الاجتماعية حيث يتبادل الأصدقاء الخدمات ذاتها أو يتعاوضون مزية بأخرى ، ويقرر

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أن الناس لا يصيرون أصدقاء عندما تتفاوت مراكزهم ، وعندما تتسع المسافات بينهم من جهة الفضيلة أو الثروة أو أى شيء آخر..[٨]

فكرة "الآخر" فى العصور الوسطى :

ازداد الاهتمام بفكرة الشخصية بتأثير الفلسفة الرواقية من جانب وبتأثير القانون الرومانى من جانب آخر ، وبتأثير الدين المسيحى من جانب ثالث. ومن الأمثلة الدالة على هذا التأثير الأخير التى يمكننا الرجوع إليها : اللهجة الشخصية القومية التى بدت فى الأحاديث التى دارت بين القديس أوغسطين وبين نفسه ، والتى دارت بينه وبين الله. والواقع أننا نستطيع اكتشاف أن هذه النظرة الدينية إلى الشخصية قبل ذلك ، أى فى تصوره يهوه (الله عند اليهود) الذى وصف نفسه بالكائن who is والذى يتحدث إلى قومه كما يتحدث شخص إلى آخر ، غير أن ظهور المسيحية قد ساعد بكل تأكيد على حدوث تغير فى فكرة الشخصية. إذ أصبحت هذه الفكرة كذلك مختلفة إلى حد بعيد عن تصور الآلهة اليونانية ولقد قابل كيركجور فى أحد مؤلفاته الأولى بين فكرة التشبيه اليونانية وفكرة الحلول الإلهى فى المسيحية.[٩] ويمكننا تتبع فكرة الشخصية من عهد أوغسطين إلى باسكال وفى فقرة مثيرة للاهتمام ، تساءل باسكال عما يثير إعجابنا فى أى شخص. وفى الوقت الذى كان أفلاطون يجيب عن مثل هذا السؤال بالقول بأن ما يعجبنا هو جمال الشخص أو قيمته الأخلاقية ، أو أية سمة أخرى ، فإننا نرى باسكال يقول أن ما يعجبنا ليس أية صفة من هذه الصفات ، وأننا لا نستطيع تحديد ما يعجبنا. وعندما سئل مونتانى عما يعجبه فى صاحبه قال : "لأنه هو هو ، وأنا أنا .." وهكذا عارض

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

مونتانى وباسكال بطريق ضمنية التصور الأفلاطونى القائل بوجود خصائص أو صال نوعية واستعاضا عنها بفكرة الشخصية.(١٠)

فكرة "الآخر" فى الفلسفة الحديثة :

أن أكبر صعوبة نصادفها فى نظرية (الشخصية) عن ليبنز هى ما فيها من استنكار لتأثير أى شخص تأثيراً مباشراً على أى شخص آخر. وربما عند بركلى ، عناصر فكرة المناجاة العامة بين الله والنفس. فلقد اعتقد أن العالم الحسى هو اللغة التى يتحدث بها الله إلى الإنسان.

وحرص كانط على إتباع فكرة (عالم الأرواح) Repiblique Esprits التى ذكرها ليبنز فى مذهبه العقلانى ، وإن كان فى كتابه "نقد العقل العلمى" ربما ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك. فمن بين القواعد الأخلاقية التى ذكرها قوله إنه ليس من حق أى إنسان استخدام أى شخص آخر كوسيلة فحسب ، إذ عليه أن ينظر إليه دائماً فى الوقت نفسه على أنه غاية. ونحن نشعر فى حضرة الأشخاص عندما يطيعون القانون الأخلاقى بنفس الحالة العقلية التى نشعر بها فى حضرة القانون الأخلاقى ذاته. وهى الحالة العقلية التى وصفها كانط بأنها التقدير والاحترام. فالشخص الأخلاقى هو الشخص الذى يتبع القانون الذى سنه لنفسه ، واتبع كانط فى هذه النقطة أفكاراً سبق لروسو المناداة بها.

ومن بين من أعقبوا كانط يمكننا مرة أخرى بين هيجل ورينوفييه، فالنفس عند هيجل على الرغم من كونها أكثر حقيقة من مظاهرها الجزئية، أقل حقيقة من الكل الذى هى جزء منه. ويقصد هيجل بالكل الدولة والحضارة التى كونتها ، والعمل الذى وهبت نفسها من أجله ،

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

والذى يعد أكثر ثباتاً من وعيها الزائل. وعند رينوفييه على عكس ذلك. ما يهم هو الشخص. وذهب رينوفييه إلى ما هو أبعد من ذلك ، فقسم الفلسفات إلى نوعين كبيرين. النوع الأول هو فلسفات الشىء ، والنوع الآخر هو فلسفات الشخص ، وهذا النوع الأخير يعتمد على تأكيد الحرية والتناهى ، بينما تعد فلسفات النوع الأول (كفلسفتى سبينوزا وهيجل) فلسفات اللامتناهى والضرورة.(١١)

ويذهب شفتسبرى فى كتابه (بحوث فى الفضيلة) إلى أن ليس بصحيح أن الميل الأساسى فى الإنسان هو محبة الذات. إن فى الإنسان ميولاً اجتماعية طبيعية... ليس يمكن الادعاء أن معنى المحبة والعدالة مستمدان من التجربة وحدها ، أو من الدين وحده. إن هناك غريزة تربط الفرد بالنوع ، فلم يعش الإنسان قط ولا يستطيع أن يعيش متوحداً. ومن الخطأ المعارضة بين حال الطبيعة وحال اجتماع ، وإذا ما عدنا إلى أنفسنا وجدنا فينا عواطف لا إرادية ، وهى الإعجاب بالنبل والخير ، واحتقار الخسة والخبث. وذلك هو الحسن الخلقى : لدينا حس باطن قوامه محبة النظام والجمال ، وهذا الحس يدرك الخير والشر فى الأفعال إدراكاً بديهياً عما يدرك البصر والألوان فى الأشياء. فإذا طاوعناه وجدنا الإيثار يحدث فى النفس اغتباطاً ليطغا بما نهيئه للغير من سعادة.(١٢)

وفى (نظرية العواطف الأخلاقية) يرى آدم سميث استحالة تعيين الفضيلة فى كل حالة جزئية بناء على قوانين ثابتة ، ويرجع هذا التعيين إلى "العطف" أو التعاطف أى انفعالات الغير ، ويستخرج قانون السيرة من قوانين العطف ، فيلاحظ أن انفعالات الغير تنتقل إلينا بالعدوى ، فلا نراهم

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

يألمون أو يضحكون أو يغضبون إلا ونشاطرهم شعورهم ، وذلك ميل طبيعي غير إرادى يحسه أشد الناس أنانية ، وهكذا تجعلنا الطبيعة متضامنين جميعاً نسر أو نحزن لما يصيب الغير. وقد ربطت الطبيعة بالعطف لذة كى يطلب لذاته.[١٣] ويرى (جان مارى جيو ١٨٥٤-١٨٨٨). أن الفرد لا يستطيع أن يحيا تمام الحياة إلا فى المجتمع وبالمجتمع ، وهو يجد فى الروابط الاجتماعية واللذات الفنية والخلقية بما فيها من بذل وتضحية ، مصادر عواطف رفيعة جميلة قوية لا تقاس إليها عواطف الحياة الحيوانية ، بدليل أن الذى يتذوقها يحس باستحالة الاستغناء عنها ، فالإنسان القوى الحيوية يرى نفسه مدفوعاً نحو هذه الحياة العالية وما يتطلبه من مغامرة ومخاطرة.[١٤]

نظرية التفاعل المستمر بين الذات والآخر :

يقف وليم جيمس من هيجل موقف أستاذه رنوفييه ، إذ يرى أن هيجل لم يدع للفرد مكاناً فى فلسفته ويؤكد وليم جيمس الذاتية والفردية فى تجربته الدينية التى عاناها ، ونظريته فى النشاط الإنسانى. ومن المتأثرين بهيجل جوزياه رويس ، ولعل تربيته الدينية هى التى دفعته إلى إكمال نظرية هيجل بنظريته فى "التفاعل المستمر Constant Interaction" ، ويعنى به تبادل الأجوبة والأسئلة ، والدعوات والصلوات. ويرى رويس أن الوفاء هو الذى يكون الشخصية. ويتابع هوكنج فلسفة رويس ويحاول أن يصلح منها ، فيرى فى كتابه "فكرة الله فى التجربة الإنسانية" استحالة الفصل بين الذات والغير . ففى كل فعل من أفعال الوعى نعاين حضور الله وحضور الغير ، وكل وعى هو فى نفس الوقت "وعى

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بالمعية Co-Consciousness" وهو بذلك يقترب من هيدجر وشللر كل الاقتراب.

والتعاطف Sympathy عند شللر ذو أهمية خاصة ، إذ أن الاتحاد الذى يتم بيننا وبين الآخرين سابق على الاتحاد بيننا وبين أنفسنا ، والتعاطف لا عقلى ، فهو شعور أولى يسبق فكرتنا عن أنفسنا. وقد ذهب مين دى بيران إلى إمكان الاتصال المباشر بين الذوات ، وهى الفكرة التى توسع فيها شللر من بعده.

وعلى نقيض شللر ومن لف لفه من الفلاسفة نجد مذهب الأناوحدية Solipsism وهو المذهب الذى لا يعترف بوجود الآخرين ، وينكر إمكان الاتصال الإنسانى إنكاراً مطلقاً ، ويقول نيتشه "إننا لا نحب معرفتنا حالما ننقلها إلى الآخرين" ويتطرف ثترنر Strener إلى أبعد من ذلك فيعرف ذاته بأنها الذات الوحيدة للكائنة فى العالم ، وليست الذوات الأخرى غير امتثالات لذاته. ويدعو ثترنر إلى الانعزالية من وجهة نظر أخلاقية محضة ، أو لا أخلاقية بمعنى أصح . ولهذا المذهب جانبه الأدبى الذى نجده فى أشعار ملارميه وفاليرى وبروست .

ونحب هاهنا أن نشير إلى العمل الذى قام به علماء الاجتماع فى القرن التاسع عشر ، فقد كرسوا للمشكلة بعض اهتمامهم ، ولكنهم عالجوها من الناحية الاجتماعية ، وتعمقوا مشكلة الاتصال الموضوعى عن طريق اللغة ، لا عن طبيعة ذلك الاتصال الذى يتحدد فيه وجود بآخر ، وهو اتصال لا يخضع للمعايير الموضوعية والمقاييس العقلية بحال ،

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وهو أمر قد أوضحته الفلسفات الوجودية المختلفة ، وتوسع فيه الوجوديون من أمثال كيركجارد وبردياف وبوبر ويسبرز ومارسيل وغيرهم ...[١٥]

الآخر فى الفلسفة المعاصرة :

إن الموجود البشرى يعيش فى تفاعل مستمر مع غيره من الموجودات البشرية ، أو إن شئنا التعبير بطريقة أخرى قلنا أن الموجود البشرى هو (وجود – مع آخرين)، أو (وجود الفرد مع أفراد آخرين). والفرد لا يمكن أن يكون كائناً بشرياً إلا إذا كان دائم التشخيص.. وهذا يعنى أن التفاعل قائم ومستمر بين الفرد والجماعة.. وينبغى ملاحظة أنه لا فرد بدون جماعة ، ولا جماعة بدون الفرد.. إن التعاطف والتواصل والمودة والحب فعاليات طبيعية فى كل فرد تستلزم ، مسبقاً ، وجود الآخرين. فهى تبادل بين طاقات وجدانية ، وليست أفعالاً منعزلة ، بها يتواجد الأفراد ويشعرون بالتحامهم وتكامل حياة الواحد مع حياة الآخرين: إنهم كائنات حية مجتمعية ، لأن لكل واحد حميمية ذاتية خاصة ، إنه شخص. إنه حيوان واع ، وفاعل ومسئول عن كل أفعاله ، ولا مسئولية شخصية دون حرية فردية وتفكير فردى.[١٦]

مفهوم الذات والآخر فى الفكر السيكولوجى والسسيولوجى :

بداية نقول أن كل ما يقع خارج "الذات" يمثل آخر.. فالزوجة آخر، والأولاد آخر ، والجيران آخر.. وهكذا ، وينبغى ملاحظة "التلازم" القائمة بين "الذات" و "الآخر" بمعنى أن تصور الذات يستدعى تصور الآخر.. بل إننا نجانب الصواب إذا قلنا أن مفهوم الذات ومفهوم الآخر مفاهيم ذات طبيعة آلية. فتصوراتنا عن "الذات" لا تتكون بمعزل عن

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

حضورنا "للآخر" وقد اهتم كل من "وليم جيمس" و "مارك بالدوين" بقضية الذات والآخر.

وتمثل أعمال وليم جيمس William James اللبنة الأولى فى هذا المجال فقد أسست فى نهاية القرن التاسع عشر أول نظرة سيكولوجية للذات[١٧] ثم نجد بعد ذلك مارك بالدوين j. M. Balatwin. يطور أفكار جيمس أنه نظر إليها بنظرة تفاعلية ، وهو يرى أن "الذات" و "الآخر" مولودان معاً.. ولا انفصال بينهما..[١٨]

وفى الفكر الاجتماعى اسهم كل من كولى Charles Hcooley وهربرت ميد G. H. Mead فى تأسيس النظرة الاجتماعية (الذات ، الآخر).. حيث يذهب كولى أن الأنا هو مركز شخصيتنا وهى لا تتضح ولا تنمو ولا تزدهر إلا من خلال البيئة الاجتماعية المحيطة بها[١٩].. كما أنه يرى أن الشعور (بالأنا) لا يبرز دون أن يكون مصحوباً بذوات (الآخرين). ولكن أهم ما يلفت النظر فى أعمال (كولى) هو أنه استطاع أن يصك مصطلحات خاصة به مثل مفهومه عن (الذات المرآة) ومفهوم (الذات الجماعية).. ومفهوم الذات المرآة Cooking- Glass Self يشير إلى تخيلنا لما نبدو عليه فى نظر الآخرين. وتخيلنا لحكم الآخرين علينا ، وعلى أساس هذه التخيلات يترتب عليها شعور معين لدينا يحدد معظم تصرفاتنا فى مختلف المواقف. والمفهوم هو "النحن" We أو "الذات الجماعية Group Self" ويشير إلى صيغة معينة للأنا تتحقق فى حالة وجود جماعة تضم فى عضويتها عدداً من الأفراد يشعرون بالتعاون فيما بينهم ، وباختلافهم عن - أو تعارضهم مع - جماعة أخرى. أما هربرت

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ميد فقد قام بمعالجات موسعة لفكرة الذات الجماعية ، وهو يرى أن الذات لدى أى فرد تتطور كنتيجة لعلاقة هـذا الفـرد بالعمليـات والنشـاطات والخبرات الاجتماعية من جهة ، وبالأفراد الآخرين من جهة أخرى.(٢٠)

إن صورة الذات وصورة الآخر يتشكلان وفق "الخـبرة" خـبرة الذات مع نفسها هى التى تشكل وتكون صورتها التى تقنع بها مع نفسها ، وخبرة الذات مع الآخرين خلال التعاملات المختلفة هـى التـى تشـكل الصورة التى تنطبع لدى الذات عن الآخر.

ويلاحظ أن الخبرات "متنوعة" و "متراكمة" وكون الخبرات لهمـا الصفتان السابقتان فإننا نلاحظ أن الصورة المتكونة سواء للذات أو للآخر لا تتكون بشكل سريع ولكنها تأخذ قدراً من الزمن ، وقدراً من التعاملات، وهنا نلاحظ أن الذات المتقوقعة داخل ذاتها أو قل المنغلقة على ذاتهـا لا تكون صورة عن ذاتها بشكل صحيح ، وأيضاً تصورها للآخر لا يكـون صحيحاً أيضاً. وعلى هذا الأساس فإن نظرة (كولى) للذات ، للآخـر ثـم إشارته إلى الذات المرآة وفكرة التخييل التى يشير إليها ، كل ذلك يكـون صحيحاً فى حالة (انفتاح) الذات على العالم الخارجى.

الذات والآخرين بين الديناميكية والانتقائية :

قلنا أن هناك خبرات للذات ، هذه الخبرات تعتمد على مجموعـة من الخصائص الفيزيقية والاجتماعية والثقافيـة ، وتعتمـد أيضـاً علـى مجموعة من القدرات التى تعتقد الذات أو تعتقد الجماعة أنها تتسم بها.

ونود أن نشير إلى أن صورة الآخر هو مجموعـة مركبـة مـن السمات سواء الاجتماعية أو النفسية أو الفكرية والسلوكية.. الـخ. التـى

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ينسبها الفرد أو الجماعة إلى الآخرين.. هذه الصورة المركبة لا يمكن أن تتسم بالثبات والاستاتيكية وذلك لأن تلك السمات والخبرة التى سبق وأشرنا إليها كلها أمور قابلة للتغيير والتعديل والتبديل تبعاً لمقولات الزمان والمكان ، أو ما هو ذاتى وما هو موضوعى ، أو ما هو ثابت وما هو متغير.. الخ. وفكرة الانتقائية من الأفكار الحيوية الهامة فى التعامل مع الآخر.. وهذه الفكرة تعنى أن كل ما يتكون فى تصوراتنا عن الذات ، أو عن الآخر لا يتسم بالنقاء وذلك لأننا فى أغلب الأحوال نخلط بين ما هو واقعى وما هو مثالى ، أو بين ما هو ذاتى وما هو موضوعى.. بمعنى آخر أن تصوراتنا يتداخل فيها ما هو داخلى (أى فكرتنا ورؤيتنا لذاتنا) وما هو خارجى (أى ما نود ونريد إظهاره للآخرين) ومعنى ذلك أن ما يظهر منا ليس الحقيقة كاملة ولكنها مختلطة بأمور أخرى لا نريد إظهارها.. وبنفس المعيار يمكن القول أن صورة الآخر لدينا تتشكل بناء على نواحى انتقائية أيضاً.. هذه العناصر الانتقائية تتمثل فى أننا نبحث عن ما نريد أن نبثه فى أذهاننا عن هذا الآخر ، وتغيب عنا أو قل أننا نتغاضى عنها بشكل عمدى أو لا عمدى ، وهذا الأمر راجع لأننا لا نريد رؤية تلك العناصر ، أو لا نريد الاعتراف بها. ومن هنا تكون النظرة إلى الآخر نظرة ذاتية فى أغلبها متجاهلة الجانب الموضوعى.

من كل ما سبق يصبح جلياً أن العلاقة بين الذات والآخر تحتاج إلى الدراسة العلمية الدقيقة لأن الدراسة العلمية هى التى تجعل الذات تتعامل مع الآخر تعاملاً سوياً ، سواء كانت تلك العلاقات بين أفراد أو جماعات أو شعوب... وبدون المعرفة العلمية يصبح التعامل فى حدود الصور التى عرضناها سابقاً. أقصد تكون العلاقة فى ضوء ما نراه أو ما

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

نريده حتى لو كانت تلك الصورة غير مطابقة للواقع الخارجي وهذا بالطبع مصدراً للخطأ.. ويمكننا التوصل لفهم أعمق لعلاقة الفرد بالجماعة، وللأسس التى تحكمها والتى تؤدى فى بعض الأحيان إلى المغالاة فى تقديس الفرد باللجوء إلى مفهومى : The group as Corporation و The group as a collectivity فطبقاً للمفهوم الأول تكون حقوق الأفراد فى الجماعة متساوية تماماً. ويكون لكل فرد حق الحصول على نصيب من موارد الجماعة ، من تعليم وفرص عمل ، وما إلى ذلك ولا يحده إلا مقدراته الذاتية ، وكفاءاته الشخصية وإنجازاته.

أما المفهوم الثانى ، فإنه يعبر عن صلات شراكة تنشأ بين أعضاء الجماعة. والأولوية تكون لحقوق ومتطلبات الجماعة بمعنى أن الفرد عليه التضحية بمصالحه الخاصة طالما أنها تتعارض مع المصلحة الجماعية. وتتحدد وتتقيم إنجازات الفرد بناء على العواقب التى تترتب على الإنجازات وكيفية ارتدادها على الجماعة المنتمى إليها الفرد.(٢١)

وتتصل قيم الفردية ، والحرية ، والمساواة فى المجتمعات الأوربية بالثورة الصناعية(٢٢).. وبالأحداث التى ارتبطت بها وتأثرت بالظروف التى أوجدتها كالثورة الفرنسية مثلاً. فالثورة الفرنسية رفعت شعارات تؤكد حق الفرد فى المساواة والحرية والإخاء..(٢٣)

إن حضور الآخرين لا يفزعنى ولا يجمد حريتى ، بل على العكس ، إنه يعكسنى ويجعلنى على استعداد لمواجهة المواقف. لقد أظهر (هيجل) بقوة ، أن هناك وحدة صميمية بين المعرفة والتعرف : لا أستطيع أن أعرف الآخرين إلا بفضل تأملى ، ومن خلال ذاتى ، ولا أستطيع أن

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أعرف ذاتى إلا فى الآخرين. إنى أتعرف فيهم على ذاتى ، أو كما يقـــول حديث لنبى الإسلام " "المؤمن مرآة أخيه".

أنا شخص لأننى فى بيئة أتواصل فيها مع الآخرين ، وأتواصـــل لأنى ألتحم التحاماً قوياً بالـ (زمانية) وأندمج بتغلغل فى التاريخ ، جـاهداً ما استطعت توجيه أعمالى طبقاً لمنحنى هذا التاريخ. فوعيى ليس إلا ذاك الجهد المتواصل الذى أقوم به لأتكيف مع تجارب تدعونـــى ، فـــى كـــل لحظة، إلى أن أبدع وأخترع إلى أن أحيا.. كل أفعالنا وسائل للمعرفـــة ، فهى التى تصنع التاريخ ، وفى نفس الوقت ، تخضـــع لـــه ، أو بعبـــارة أوضح : أن أعمالنا تخضع للتاريخ علها تصنعه ، وهى إذ تصنع التاريخ، تفرض ، مسبقاً أنه يخضع لها ، ذلك أننا نتحرر بقدر ما نلتزم..[٢٤]

الفكر المعاصر ومحاولة فهم "الآخر" :

لقد نبه أصحاب فلسفة الفهم والتفسير إلى ضرورة الاندماج فـــى (الآخر) ووضع أنفسنا فى مكانه لكى يتسنى لنا فهمـــه وفهـــم الظواهـــر والمواقف والقيم والمعانى والأشكال التاريخية والفنية والأدبية والاجتماعية فهماً صحيحاً ، حتى أصبح منهج التفسير المتفهم عند (دلتاى) أشبه بمنهج الأديب الذى يروى سيرته الذاتية ، أو الكاتب الذى يستحضر وقائع حياته. وكان المبدأ الضمنى الذى قام عليه هذا المنهج كما يلى : كلما زاد التوحد بالآخر ، أمكنه فهمه بصورة أفضل ، وكلما زاد الاختلاف عنه قل الفهـــم وتضاءل. ويعترض (جادمار) على هذا المبدأ ، مؤكداً الوظيفة التفســـيرية للبعد الزمنى الذى يفصلنا عن الآخر. فالعبارة أو النـــص المكتـــوب ، أو الحدث التاريخى ، لا يمكن أن يكشف عن معناه الكامل لا عـــن طريـــق

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

مسافة البعد الذى يفصلنا عنه ، أى من خلال الأفق الأوسع الذى تم فيه فعله ، وفهم فيه نفسه.. ويقترح (جادمار) مصطلح "انصهار الآفاق" أو "تداخلها" ، بديلاً عن مصطلحى "الاندماج" ووضع أنفسنا موضع المؤلف أو الحدث والظاهرة الأصلية إذ أن ذلك الاندماج وهذا الوضع مستحيلان ، وغير ضروريان أيضاً –مستحيلان لأننا لن نستطيع أن نقفز فوق ذواتنا وعالم فهمنا أو نخرج منهما ، وغير ضروريين لأننا نضطر حتماً للانطلاق من عالمنا فإنما نريد أن نفهم الآخر من حيث هو (آخر) حتى يتسنى أن نفهم ما يميزه عنا ، وما يجمعنا به. ولابد إذن أن يتلاقى العالمان المختلفان من الناحية التاريخية والحضارية ، أى الأفقان الغريبان أحدهما عن الآخر فى التجربة والفهم ، بحيث يرتبطان فى النهاية ويتحدان. ويقضى هذا أن أفهم الآخر دون أن أتخلى عن فهمى لذاتى وعالمى ، أى يقتضى أن أستوعب أفق الآخر الغريب أو الأجنبى فى أفق فهمى لأجل أن أفهمه على الحقيقة ، بحيث ينصهر الأفقان (أو يتداخلان) أحدهما فى الآخر ، ويتسع أفقى أنا (الحاضر) هنا والآن ويزداد ثراء.[٢٥]

ضرورة الآخرين لتكوين الفرد :

منذ عهد قريب احتلت فكرة وجود الآخرين والاتصال بين شعور الأفراد مكاناً كبيراً.. ويلاحظ أننا لا نستطيع معرفة شخصية الآخرين إلا عن طريق المقارنة بينهم وبين أنفسنا ، وهذا يتضمن أن تكون لدينا فكرة عن الآخرين. فليس الآخرون حداً ينتهى عنده الشعور بالذات ، بل هو منبع هذا الشعور. أو عندما يلوم الإنسان نفسه فمعنى ذلك أنه يريد الوصول إلى مثال أعلى يتمثله بصيغة غامضة فى شخصية إنسان آخر ،

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وإذا فهمنا الصلة بين ضمائر الأفراد على هذا النحو وجدنا أنها لا تقضى على الطابع الداخلى لكل ضمير منها ، بل تؤكد هذا الطابع من باب أولى، ويبدو من الواضح أن هذا النوع من علم النفس الذى يبحث فى التأثير المتبادل بين ضمائر الأفراد ، هو مصدر ذلك النوع الجديد من علم الاجتماع الذى يطلقون عليه فى أمريكا وفرنسا اسم علم الاجتماع (الميكروسكوبى) وقد عرف (جير نفيتش) هذا العلم بأنه دراسة النماذج المفرطة فى التجريد والعموم. فقد كتب يقول : من يوم لآخر يزداد تصور الوجود صلة قوية بين ثلاثة أطراف وهى (الأنا) عن (الغير) وعن (نحن)، فمعنى ذلك أننا نقضى على نفس الشعور الذى ينحصر فى تلك الصلة القوية بين هذه الأطراف الثلاثة ، وعلى النتائج الموضوعية من العلاقات والرموز التى يعبر بها هذا الشعور عن نفسه.(٢٦)

وفى الفكر الوجودى نلاحظ فكرة (الآخر) تشغل حيزاً كبيراً فى فكر الوجوديين ، ويكاد يتفق الوجوديين على أن (الآخر) يعد شيء سيئ بالنسبة للذات. فهم يركزون بشكل أساسى على فكرة الحشد. أى مجتمع الحشد Mass Society ولذا فالعداء كبير بين (الذات الفردية) و (الهم) أو (المجتمع). وكان كيركجارد يشعر بالتقزز من الآخرين ، وتعتريه حالة من (القرف) Angst تجاه (الجمع).. إن مجتمع الحشد ذا رائحة عفنة ، هو مجتمع كريه ومبتذل.. إنه مجتمع الحشرات الطفيلية التى تعيش لتمتص دم الإنسان ولذلك فهو مجتمع الاستبداد والاشمئزاز.(٢٧)

ولكننا نقول أنه ليس فى استطاعة الإنسان أن يحبس نفسه فى قمقم، فإن قطب (الأنا) لا يستطيع أن يعيش إلا فى علاقة بقطب (الغير).

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

حقاً إن المرء يولد بمفرده ، ويموت بمفرده ، ولكنه لا يحيا إلا مع الآخرين وبالآخرين وللآخرين. وإذا كان قد وقع فى ظن البعض أن الشعور الفردى إنما هو ذلك الوعى الخاص الذى نستشعر معه أننا موجودون وحدنا دون الآخرين ، فإن هيدجر يقرر أن "الوجود بدون الآخرين" هو نفسه صورة من صور (الوجود مع الآخرين) ، بمعنى أن الشعور الفردى لا ينطوى على أى انفصال مطلق عن عالم (الغير) ، الذى هو من مقومات الوجود الإنسانى بصفة عامة. وكما أنه ليس ثمة (ذات) بدون (العالم) ، فإنه ليس ثمة (ذات) بدون (الغير) ، وسواء أكان (الغير) هو (الخصم) الذى أصطرع معه وأتمرد عليه وأسخر منه ، أم كان هو (الصديق) الذى أتعاطف معه وأنجذب نحوه وأبادله حباً بحب ، فإننى فى كلتا الحالتين لا أستطيع أن أعيش بدونه ، ولا أملك سوى أن أحدد وجودى بازائه. وسواء قلنا مع سارتر (أن الجحيم هو الغير) أم قلنا مع جيته (أنه ليس ثمة عقاب أقسى على المرء من أن يعيش فى الجنة بمفرده) ، فإن من المؤكد أن (الجود بدون الآخرين) (إن أمكن تحققه) إنما هو ضرب من المرض العقلى ، أو الانتحار الميتافيزيقى..[٢٨]

من البداهة أنه لا وجود بشرى بدون العالم ، ... إن الناس الآخرين هم أساساً عناصر أصلية تقتضيها فكرة الوجود البشرى مثلما تقتضى وجود العالم ، فالوجود البشرى هو أساساً وجود جماعى فى طابعه، فبدون الآخرين لا أستطيع أن أوجد.

وعلى الرغم من أنه كثيراً ما كان يفترض أن المجتمع يتشكل عن طريق تجمع الأفراد بعضهم إلى بعض ، فإن معظم علماء الأنثروبولوجيا

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

(علم الإنسان) وعلماء الاجتماع المعاصرين يقولون أن الأفراد ينبثقون من مجتمع يسبقهم فى الوجود. وصحيح أيضاً أن كثيراً من الفلاسفة الوجوديين يعطون الانطباع بأنهم فرديون بقوة ، فكيركجارد يجعل من الفرد مقولة رئيسية فى فلسفته ، ولقد أكد هو حلفاؤه على المسئولية الفردية التى لا يمكن تحويلها للغير والملقاة على عاتق الفرد ، كلما واجهته القرارات التى يفرضها عليه الموجود البشرى. فعلى كل شخص أن يتخذ قراره بنفسه فى موقعه الفريد ، وعليه أن يأخذ على عاتقه مسئولية اتخاذ القرار. وهناك جوانب من الوجود البشرى تبدو انعزالية ، فى جوهرها ، فمواجهة الموت هى مثال آخر على هذه الجوانب. ورغم ذلك أن الجماعة أساسية للوجود البشرى ، وعنصر من عناصر تكوينه ، فلنذكر فى هذا الصدد خاصتين أساسيتين من خصائص الوجود البشرى هما "الخاصية الجنسية" و "الخاصية اللغوية" ، ومن الواضح وبلا جدال ، أن كلا من الجنس واللغة يتضمن الفكرة القائلة بأن الفرد البشرى لا يمكن أن يكتمل بدون الآخرين : فالجنس يشير إلى حقيقة هى أنه على الرغم من أن الجنس البشرى يحتوى على "أجهزة" كاملة ومتعددة (مثل الجهاز العصبى ، الهضمى ، التنفسى...الخ) فإنه لديه نصف جهاز للتناسل ، وهو على هذا النحو لا يكتمل بدون شخص آخر من الجنس الآخر. وفضلاً عن ذلك فهذه ليست مجرد حقيقة تجريبية أو بيولوجية ، من النوع الذى يمكن أن يلاحظ فى مخلوقات أخرى كثيرة غير الإنسان. بل إن الجنس البشرى يصطبغ بصبغة إنسانية Humanized بحيث يصبح ظاهرة وجودية محددة.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ومن الوظائف الأساسية للغة الاتصال بين الناس ، وتبادل الآراء بين الأشخاص ، وليس ثمة شيء اسمه لغة خاصة ، ومع ذلك فلا يمكن أن يكون هناك وجود بشرى (بالمعنى الضيق لهذه الكلمة) بمعزل عن اللغة. إذ يصعب تصور وجود التفكير بمعزل عن اللغة (اللهم فيما عدا بعض الظروف غير العادية) فاللغة هى التى تجعل الفكر يخرج ويصبح متاحاً للشخص الآخر.. إن اللغة ليست مجرد ظاهرة بشرية بل هى تحمل مغزى انطولوجيا مطلقاً شاملاً صحيح أن اللغة قدرة بشرية أساسية وبدون اللغة لا يمكن للمرء أن يكون بشراً..[٢٩]

وهناك ملاحظتين نذكرهما عن دور الأشخاص الآخرين ، وضرورته ، لتكوين شخصيتنا ، لا إلى طبيعة الشخصية ذاتها. وإن كانت أولى هاتين الملاحظتين تبين لنا فعلاً مدى توثق الصلة بين هاتين المسألتين. وفيما يتعلق بمشكلة حقيقة فكرة (الشخص) ، علينا الرجوع إلى فكرة الجوهر ، إذ تواجهنا هنا أيضاً مشكلة (الهوية) فى الشخص. فمن المعروف أن هناك شيء ثابت فى أنفسنا ، وأن هذا الشيء لا يمكن تحديده، أو ربما الإفصاح عنه. وفضلاً عن ذلك ، ربما كان هذا الثبات يعنى حدوث تجدد فى بعض حالات عقلية أكثر من دلالته على حالة ثبات وسكون. ويمكننا أن نضيف الآن أنه كما أن هناك حواراً يدور بينى وبين أنفسنا والآخرين. كذلك ثمة حوار يدور بينى وبين نفسى. وقد نتساءل هل يحدث هذا الحوار بين الأنا الترانسندنالية والنفس التجريبية ، كما تصورها كانط ، أم أن من واجبنا التجاوز عما بين هذين الطرفين من تمايز ، وأن نكتفى بالقول بأن ما يحدث هو مجرد تفاعل مستمر بينى وبين نفسى ؟ وهذا فكرة يمكننا أن نقابلها عند رويس كذلك.[٣٠] إننا لا يمكن إغفال دور

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

(الآخر) فى تكوين (الأنا)... فالآخر هو الأنا الذى لم أبلغه بعد. بل يمكن القول بأن (الآخر) هو بمثابة النداء (للأنا) من العالم الخارجى عن (الذات).. يقول ايمانويل ليثيناس فى هذا الصدد.. الغير ليس فقط (اجو) آخر ، أو أنا آخر ، بل هو الأنا الذى لم أبلغ إليه بعد. أو هو ذلك الجزء منى الذى لم أصل إليه بعد. والوجود الخارجى للغير هو ذلك النداء الذى يوجهه إلى الأنا ، ولا حقيقة بدون انفصال ، ولا وجود بدون أيضاً. ولهذا لا يكون صحيحا ما يقال فى بعض الأحيان من أنى أخرج من ذاتى. وأنا لا أهتدى إلى الطريق إلا بفضل وجود هذا المطلق الآخر ، هذا الغريب ، أو بفضل وجود الإنسان الحر ، لأن الموجودات الحرة هى وحدها التى تكون غريبة بعضها عن البعض الآخر. وهذه الهداية لقدمها لى التعليم. فكثيراً ما يقال فى كمال التربية التى لا أستطيع أن أتلقى إلا ما أكون حاصلاً عليه ، أو أمتلكه بقوة ، وإننا نكتشف كل شىء بأنفسنا من تلقاء أنفسنا. لكن هذا ليس بصحيح. والصحيح أننا نتعلم من الخارج ما يلقيه علينا الآخرون. فمن طبيعة الإنسان أن يكون كائناً متعلماً وقابلاً للتعلم. والتعليم فى ذاته هو علاقة (الخارجية) تلك الخارجية التى تخترق طريقها إلى الـ (أنا) والله نفسه يعلمنا بطريق الوحى المفروض علينا. وليس صحيحاً ما يقال من أن العقل ينمو بنفسه ووحده ، وأن المعرفة لا تفعل أكثر من أن تظهر إلى الخارج ما يكون موجوداً فى داخلى على نحو مسبق. كلا ، أنا متعلم ، أى يعلمنى آخر أو الآخرون ، بمعنى أن الحقيقة تأتينى من مكان آخر ، أو من شخص آخر. بذلك يصبح له معنى ، والتعليم يحمل لا نهائية الوجود الخارجى كلها..[٣١] وإذا كان ديكارت قال: أنا أفكر إذن أنا موجود ، فإننا نضيف إليه أنا أفكر إذن أنا أعيى وجودى

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ووجود الآخرين أيضاً.. وهذا ما أشار إليه برديائف الفيلسوف الروسي المعاصر عندما قال : الوعى الذاتى يقتضى الشعور بالآخرين ، فى اجتماعى فى أعمق أعماق طبيعته الميتافيزيقية ، ومادامت حياة الإنسان تعبيراً عن الأنا فإنها تفترض وجود الآخرين ، ووجود العالم ووجود الله.(٣٢)

إن وجود الآخر هام وضرورى ، ليس من أجل تكوين (الأنا) فقط ولكن من أجل إثبات وجود (الأنا) بشكل حقيقى. بل الآخر هام بالنسبة (للأنا) حتى يتم الحوار ، وفى الحوار يزداد الوجود وجوداً.. لأن الحور بين (الذوات) يخلق الفعل الخلاق والذى يضاف إلى الوجود ، ومن ثم يزداد المعنى أكثر وأكثر.. إن الحياة حيث تكون فى آن واحد ملتزمة وحرة وهى "الحياة التى تجرى فى حوار" ، كما يقول مارتن بوبر. ولقد كان مونييه يعلم تمام العلم أنه سيظل هو بعينه ، هو كما هو تماماً فى كل مكان ، ومهما تكن الظروف والملابسات ، وأن عليه واجباً دائماً هو أن يسأل الإنسان ويستجوبه ، بصورة خفية أو ظاهرية سواء بسواء. ذلك أنه ما من لحظة لا يستطيع الوعى فيها أن يزيد من وجوده أكثر من تلك اللحظة التى يجرى فيها حواراً مع وعى آخر.. كان هيجل يقول : "أنا كائن من أجل ذاته ، ولست هكذا إلا من خلال شخص آخر". ووجود الشخص تتنازعه دائماً حركتان ضروريتان سوياً ، حركتان تستطيعان إما أن تزيدا هذا الوجود ، وإما أن تقضيا عليه...(٣٣)

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الفرد بين استقطاب (فردى) واستقطاب (جماعى) :

إن موقف ذلك الكائن الفريد الذى يكون قادراً على أن يقول (أنا موجود) ، هذا الموقف ألا يتضمن ارتباطه هو بنفسه ، وانفصاله عن الآخرين ، انفصالاً يصبح جذراً مشتركاً لكل صور الشر ؟ على أية حال ، فإن عودة الوعى إلى طبيعته الأصلية يمر بالآخرين ، لأنه ، من شخص يحصل على شيء إلا وكان يدين بهذا الشيء للآخرين ، وتجربة الإنسان بين نفسه ونفسه هى التى تشكل بلا شك حدود وسبب وجود علم الأخلاق ، لكنها لا يمكن أن تتم بعيداً عن الآخر ، أو بالأحرى لا تتم فى مجال العلاقة بين منعزل ومنعزل (هو نفسه) ، وبين (كائن أعلى) وهى تظل مباطنة للاتصال بين الذوات ، بل وتعمل على تعميقها ، ويحتفظ الاتصال بين الـ (الأنا) المنعزلة ، وأنا الآخرين ، بقيمته ومعناه بقدر استبعاد القول بأن أية تجربة وحيدية ، مهما تكن طيبة ، تكون قادرة على إهمال ما بين الذوات من فواصل ، وإلى إرجاع الرّوابط بينها إلى مجرد التقلبات التى تمر على الذات الفردية فى وحدتها. وبتعبير أوضح أقول : أنى اتصل بالآخرين وحيث أفعل ذلك ، أبدأ امتلاك كيانى أنا..[٣٤]

وهذا الاستقطاب يحمل طابع الخفاء ، فإذا كان المذهب الفردى Individualism عند كيركجارد يدهشنا بمبالغته ، فإن علينا كذلك أن نتفادى أى مذهب جمعى Collectivism يجمع الموجودات البشرية ، بغير تمييز ، فى كتلة متجانسة.. ولا شك أن مثل هذا المذهب الجمعى يسيء بالفعل فهم معنى الجماعة ، فالمذهب الجمعى كما تدل عليه الكلمة نفسها Collectivism يبدأ من فكرة (جمع) أفراد منفصلين وجميعهم معاً

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

لكى يشكلوا تجمعاً Collection ، أى أن المذهب الفـــردى ، والمذهـــب الجمعى هما فى أساسهما صورتان مختلفتان لخطأ واحـــد ، وليـــس فـــى استطاعتنا أن نتجنبهما إلا إذا بدأ من الوجود البشرى العينـــى بوصفـــه : "وجوداً مع الآخرين" حيث لا تكون عبارة (مع الآخرين) مجرد إضافة إلى كيان يوجد من قبل Pre- Existent ويكتفى بذاته ، بل أن هـــذا الوجـــود (الذى هو الذات The Self) والآخرين The Others يجدون أنفسهم فى كل واحد يكونون بالفعل مرتبطين فى داخله.(٣٥)

يذكر جوسيا رويس : إنما النزعة الفردية والنزعة الجماعية ميلان يشدان من أزر بعضهما الآخر كلما تطور نظامنا الاجتمـــاعى.. وينتقـــد (رويس) النزعة الفردية عند سارتر ويلاحظ رويس جيداً كيف تؤدى مثل هذه النزعة الفردية إلى الفراغ الأخلاقى.

ويشير (رويس) : نحن على علم بأن رفاقنـــا حقيقيـــون ، ولهـــم حياتهم الخاصة بهم طالما كانوا يمثلون لأى منا كـــنزاً مـــن الأفكـــار لا ينضب، فهم يجيبون على أسئلتنا وينقلون إلينا الأخبار ويقدمون التعليقات ويطلقون الأحكام ويعبرون عن ارتباطات جديدة من المشاعر ويروون لنا القصص ، ويجادلوننا ويشاورننا. ويمدنا رفاقنا بالمزيد الذى نبقـــى أبـــداً بحاجة إليه لكيما نضيفه إلى ما نخزنه من معانٍ متشظية..(٣٦)

ومن بين السمات التى تميزت بها التأملات الفلسفية المعاصرة فى صلات الأشخاص ، إصرارها على الإشارة بضرورة الأشخاص الآخرين حتى فى المساهمة فى إنشاء شخصيتى. ومن بين السمات الأخرى (التـــى يمكن اكتشاف آثار منها فى الفكر الدينى) القول بأن الصلة بين الأشخاص

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ليست صلة موضوعية ، ولكنها صلة ذاتية يمكن أن تترجم إلى كلمات مثل (أنا) و (أنت) وحدهما. فعالم الذات الشخصية لا يقبل الترجمة إلى علاقات موضوعية تستخدم فيها كلمات مثل (هو) أو (هى) ووضع الكاتب الألمانى هامان والمفكر الدنماركى كيركجور نظريات من هذا القبيل ، قام بالنهوض بها بما بعد برديائف وبوبر وجابرييل مارسل ، وهكذا يتبين أن (عالم الأرواح) لم يعد يتصور كصلات عقلية ، على نحو ما تصوره لابيتنز وكانط. بل أصبحت هذه التصورات أكثرا اعتماداً على المشاعر ، كما تصورها رويس...[٣٧]

ثانياً صور المواجهة مع الآخر

القطيعة مع الآخر بوصفه قاهر الذات :

إذا تأملنا المجتمع سنجد أنه يتألف من كتل بشرية ، وليس من أفراد مما أدى إلى قمع الأفراد الساعين لتحقيق اكتمال أكبر فى الحياة ، إن الاتجاه فى الحياة الاجتماعية يسير نحو إنتاج كتل هلامية من الأفراد المعدومى الهوية "قطيع واحد ولا راع" ؛ لأن الفكر يتعرض للسحق تحت أقدام الرأى العام.. يقول كيركجارد ملخصاً أسباب الفساد : "يقوم الفساد الأساسى فى عصرنا على إلغاء الشخصية فلا أحد يجرؤ أن تكون له شخصية بسبب الخوف الجبان من الناس ، ومن هنا فإن كل فرد تتقلص (ذاته) وتتكمش (أناه) تجاه الآخرين.. رجل السياسية لا يعرف ولا يتعامل إلا مع الجمهور ، إنه لا يستطيع –لاسمه الله ! أن يقول : "أنا" فهو يتحدث دائماً باسم الجمهور ، باسم الشعب..[٣٨]

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ولقد آثر كيركجارد فى يومياته : لسوف ابتعد عنهم !! هؤلاء الذين لا هم لهم سوى أن يتلصصوا على المرء ليروا إن كان قد ارتكب نقيصة ما ، سوف أذهب إلى (السيد) -يقصد المسيح- وسوف يبتهج بهجة عظمى بعودة المرء التائب أكثر من ابتهاجه بالحكماء ، هم ليسوا فى حاجة للتوبة..[٣٩] وكيركجارد يهاجم فكرة الحشد ويؤمن بالإنسان الفرد.. بالذات المتفردة.. وعلى ذلك نجد أنه يركز على مقولات هامة منها : التفرد.. السر..

التفرد.. فكل إنسان نسيج وحده بحيث يتميز عن غيره تميزاً تاماً، ولا يوجد فى هذه الحياة شبيهان من جميع النواحى.. ولكل منا حياته الخاصة التى لا يستطيع أحد غيره أن يلقيها على أكتاف غيره. يقول كيركجارد : لا يستطيع الإنسان ، بوصفه ذاتاً فردياً فقط ، تحقيق ما هو إنسانى -عام، لكنه لن يفعل ذلك من خلال تحوله إلى كائن نوعى.[٤٠] ويواصل كيرجارد تأكيده الحاد على فكرة الوحدة والتفرد الإنسانى منتزعاً الذات المفردة من غوغائية الحشد.. وكل ما يعمل على تسطيح الذات. يقول كيركجارد.. فى مواجهة الحركة العالمية للعصر ، الهادفة إلى تأسيس تسطيح إنسانى لا يعرف أية تمايزات ، يحتاج المرء الآن إلى انتزاع الفرد من العمومية المسيحية والاجتماعية القائمة وإلى إبراز الفردية..[٤١]

السر.. كل فرد يحتوى فى ذاته على سر ، أى أنه مغلق على نفسه ، ويجب على هذا الأساس إن أن نطرح الأمل فى تشييد علاقة مباشرة ع الآخرين ، وإنما تبقى لنا إمكانية قيام علاقة غير مباشرة هو

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

نوع من الدعوة أو الدعاء ، وعن طريق هذا الدعاء نستطيع أن ننبه الآخر إلى وجوده الخاص ، وأن نوقظ فيه التفكير الذاتى ، وليس هناك ما يعسو إلى الكلام. وإنما الصمت أدعى إلى التفاهم ، والمثل الحى هو أبلغ نداء ، ويكون هذا المثل الحى بالتضحية والاستشهاد.(٤٢)

الحشد .. عند كيركجارد لا حقيقة ؛ لأن الفرد وحده هو الذى يحقق الهدف ويصل إليه ، وهذا الهدف فى صورته الأسمى يتمثل فى الوصول إلى الأبدية ، وإلى المسيحية كما ذكر القديس بول. إن كل إنسان مفرد مشخص يساعده الله على الوصول إلى الهدف.. وهذا الإنسان المفرد المشخص لكى يكون كذلك عليه أن يتحدث إلى الله. وإلى نفسه ، لكن هناك رأياً آخر يعارض هذا الرأى ، يقول إن الإنسان إنما يصل إلى هدفه بالتعاون مع الآخرين والاندماج فيهم ، وهؤلاء يكونون حشداً يضمن نجاحاً سهلاً لأفراده كلهم دون تمايز ، ودون تفرد. الواقع أن هذا الرأى الأخير يمثل رأياً قبوله بالنسبة إلى المنافع الأرضية والمادية ، لكنه غير ممكن على الإطلاق بالنسبة إلى الله والأبدية ، وعلاقة الفرد المشخص بالألوهية. فهذه الأمور الأخيرة كلها تبقى فردية وذاتية بحتة. ومعنى هذا أنه حيثما يكون الحشد لا تكون ثمة فردية أو ذاتية تعمل وتحيا من أجل غاية أسمى ، بل كل ما هنالك هو مجرد غايات أرضية ونفعية ، فالحشد لا حقيقة..(٤٣)

سمات مجتمع الحشد عند كيركجارد

(أ) **يفقد الذات حقيقتها ويطمسها**.. الإنسان يعيش مع الآخرين ، والحياة مع الآخرين تجعل الإنسان "آخراً" بالنسبة إلى نفسه ..

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

تجعله (واحداً) من الآخرين وهو عندما يكون "آخر" بين الآخرين فإنه يختلف تماماً عن حقيقته ، ويبتعد كثيراً عن ماهيته.

لقد احتج كيركجارد بشدة ضد فكرة الوجود الجماعى هذه ، فقد بدا له أى نوع من الاندماج فى (النظام) أو (البشرية) أو (المسيحية) كقوة تسطيح فى هذا العصر.. لم ينصرف اهتمام كيركجارد إلى المساواة البشرية ، بل إلى التفرد حيال (الكتلة)..

والحشد الذى يتحدث عنه كيركجارد ليس هذا الحشد أو ذاك : ليس ذلك الذى يوجد الآن أو الذى انتهى من قبل.. ليس حشد أناس متواضعين أو حشد أناس متفوقين.. ليس حشد الأغنياء أو حشد الفقراء.. إنه الحشد فى تصوره الأساسى الذى يطمس الفردية ، ويلغى الذاتية.. إنه ذلك الذى يقضى على إحساس كل فرد بمسئوليته الفردية ، فإذا جمعنا أربعة نساء وزودناهن بالفكرة القائلة بأنهن مجرد حشد ، فإن واحدة منهن لا تستطيع أن تقول على وجه التحديد متى بدأت بعمل معين ، ومن عملته بالفعل ، ومن تحملت مسئولية فيه..(٤٤)

لقد رأى كيركجارد أن القرن التاسع عشر هو قرن لا أخلاقى ، حيث يعمل بكل ما أوتى من قوة على إيجاد وتشجيع وتدعيم مجتمع الحشد.. أنه يتفنن ببراعة فى ضياع الذات الفردية من أجل وجود ذات جمعية ، إنه قرن يحاول تحويل مجتمع الإنسان الواعى بذاته إلى مجتمع القرود والغير واعى بذاته. وهنا تكمن لا أخلاقيته.

يقول كيركجارد.. نعم إن عصرنا يعرف حق المعرفة كم هو نادر وجود هذا الإنسان ، وهنا بالذات تكمن لا أخلاقيته الخاصة كعصر. إن

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

لكل عصر لا أخلاقيته ، وربما كانت لا أخلاقية زماننا لا تكمن فى اللـــذة والمتعة ، بل فى احتقار جامح للإنسان الفرد. ثمة احتقار مبطـــن لوجـــود الإنسان ، يتعالى وسط كل هذا التهليل لعصرنا ، وللقرن التاســـع عشـــرة ويسود ضمن إبراز أهمية الجيل يأس حول كون الإنسان إنساناً. إن كـــل شىء يريد أن يكون حاضراً فى الجيل ، ويريد المـــرء أن يخـــدع نفســـه خداعاً تاريخياً ، عالمياً فيما هو كلى ، لكن أحداً لا يريد أن يكون موجوداً وجوداً مفرداً.(٤٥)

(ب) **يفقد الذات الحرية ويصمها بالجبن**.. الحشد لا حقيقة لأنه يتناقض تماماً مع الحرية ، فالإنسان الذى يفقد ذاته ، يفقد من ثم حريته ، إنه يصير عبداً لضجيج التجمعات ، وتابعاً للعقل الجمعـــى أو اللاشـــعور الجمعى ، إنه يسير وراء قطيع الناس ، يفعل ما يفعلون ، ويتحرك كمـــا يتحركون. إنه غير قادر على اتخاذ قراره بنفسه، فالقرار لا يصدر منه ، إنما هو يخضع لقرارات الجموع ، وهو بالتالى غير قادر على الاختيار : اختيار ذاته ، أو اختيار أى ممكن من الممكنات ؛ لأن ذلك الاختيار عنده مرهون بفكر الحشد ، وموقوف على طموحاته وأهدافـــه ، لا طموحـــات وأهداف الفرد العينى المشخص.

والحشد زيف : فهو يفعل ما يفعله الأفراد الداخلين فيـــه ، علـــى الرغم من أنه كل فرد.. إنه تجريد لا أيادى له ، فى حين أن لكـــل فـــرد زوج من السواعد هما اللتان تفعلان فى الحقيقة. والحشد جبـــن ، يجعـــل إحساس الفرد قوياً بأنه لا يستطيع بمفرده أن يتخذ قـــراره بنفســـه ، وأن يختار بكل حريته ، وأن يفعل بإرادته الذاتية الصميمية.(٤٦)

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

إن ما نخاطر به هو الاختيار بين الفرد والتجمع ، بين الشخصية الإنسانية والحشد ، بين الحرية والعبودية ، ..أما الحياة الشخصية الفردية القادرة على ممارسة الحرية ، والفعل المسئول.. أو حياة لا شخصية جماعية غير حرة غير قادرة على الاستقلال فى المعرفة ، والفعل المسئول.. ومن ثم حياة زائفة حالمة ذات سعادة مادية ، وجنة أرضية ، لا يمكن أن تكون حقه..(٤٧)

سمات مجتمع الحشد عند هيدجر :

الوجود مع الآخرين ضرورة لازمة لا مفر منها ، وكما أننا لا نستطيع أن نفكر ، أو نعمل إلا ونحن مرتبطون بهذا العالم ، فكذلك لا نستطيع أن نفكر ، أو نعمل إلا ونحن مرتبطون بالآخرين. وتأكيد هيدجر لهذه الحقيقة يفند ما يدعيه أعداء الفكر الوجودى من أن هذا الفكر دعوة إلى الانعزال ، والانفصال عن الآخرين ، وكيف يمكن أن يكون الأمر كذلك وجميع الفلسفات الوجودية تؤكد أن الوجود مع الغير تركيب داخل فى وجود الذات نفسها ، فلا وجود لذات منعزلة عن ذوات أخرى ، كما لا وجود لذات إلا فى عالم ، فهذا (الوجود – مع) يؤلف نفس العلاقة التى يكونها (الوجود – فى) بالنسبة للذات من حيث أنه ارتباط ضرورى وتركيب داخل فى الذات نفسها ، أى أن من طبيعة الذات أن تكون دائماً فى وجود مع الغير أو مع ذوات أخرى..(٤٨) إن هيدجر يدرك تماماً أن الوجود الفردى للذات منفصلة ، أو منعزلة عن (الآخرين) هو ضرب من الجنون ، وضرب من المحال أيضاً.. وجوهر الأنا أن تكون "موجوداً–مع" وهذا الوجود (مع) فى علاقة مع (آنيات) أخرى هى التى تؤلف (عالمى)

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

المحيط بى ، من حيث إنها مندمجة فى هذا العالم ، ومقتربة منى نتيجة لاهتمامى بها ، والتى - أحملها معى - إن صح هذا التعبير - كما تحمل الأرض الغلاف الجوى المحيط بها فى المكان ، وآنيات (عالمى) تتميز عن الأدوات من حيث أنها (هى الأخرى معى -هنساك- أيضاً) وهذه الـ(مع) والـ (أيضاً) تركيبات وجودية عامة Existential لأنهما تشيران لهذا التركيب الذى هو الوجود -فى- العالم ، وتتضمن أنى أقتسم الوجود مع (الآخرين)..[٤٩]

(أ) الحشد يضعف الذات ويذيبها :

تدلنا أكبر تجاربنا حظاً من اليقين أن طابع الوجود - الذى يعبر عنه المصطلح الوجودى العام - هو (الارتكان إلى الغير) la dependence فوجود الأنا يفترضه الآخرون على نحو ما ، دون أن نستطيع القول إن هذا الغير يتمثل فى هذا الشخص أو ذاك ، والأنا خاضعة باستمرار لضرورة الاعتماد على الآخرين فى الالتزامات المشتركة للحياة اليومية ، بل هذا الاعتماد يمتد حتى يشمل الأفكار.

وهيدجر يقدم لنا بالفعل فكرة جديدة حول علاقة الفرد فى حياته اليومية بالـ (هم) They. فكل شخص هو الآخر ، ولا أحد يكون هو نفسه. وهو يوسع هذه الفكرة بإتقان بقوله : إن الذات الخاصة بالوجود اليومى المتعين Casein هو (ذات - هم They- Self) التى تميزها عن الذات الأصلية - أى من الذات التى أمسكت زمامها بطريقتها الخاصة ، وعندما يصبح الوجود المتعين ذاتاً مرتبطة بـ (هم) يتبدد فى الآخرين (هم) ، ولابد له من أن يجد ذاته أولاً. وهذا يتضمن بالتأكيد تداخلاً حتمياً

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ين الفرد والآخرين ، لكنها علاقة تحرم الفرد من ذاته الحقيقيـــة وتجعلـــه خاضعاً تماماً لسيطرة الآخرين ، ومع ذلك فإنه هو نفسه يساهم ، بطريقة تنطوى على مفارقة ، فى ضمـــان هـــذه الســـيطرة لقـــوة (هـــم) غـــير الشخصية..(٥٠)

ويذيب الوجود بالمشاركة الآنية إذابة كاملة فـــى كيفيـــة وجـــود (الآخرين) إلى درجة أن يفقد الآخرون أنفسهم ، سماتهم المميزة الخاصـــة بهم ، فالناس يمارسون دكتاتورية حقيقية ، إذ يتطلبون نوعاً من التســـوية (توحيد المستوى Nivellement) ، والبقاء فى المستوى المتوسط ، وهذا ما نطلق عليه اسم (الحياة العامة المفتوحة) ، والواقع أن مفهوم (النـــاس) عبارة عن مفترق للطرق لكل قادم. و"الناس" يلغون المســـئولية الخاصـــة لحساب مسئولية مشتركة ، ليست مسئولية أحد بالذات. وكل واحـــد هـــو الآخر ، ولا أحد هو ذاتـــه Chacun Est L`Autre Est Personne N`Est Sci " الناس" لا أحد وهم باعتبارهم كذلك يكونون صورة الوجود الزائف..(٥١)

(ب) الحشد يعمل على غواية الذات للسقوط فى دوامة الزيف :

يرى هيدجر أن الآخر أو السقوط وسط الآخريـــن يعـــد بمثابـــة الوجود الهلامى (اللاتحديدى) بالنسبة للإنسان.. إن هـــذا الوجـــود وهـــذا السقوط نوعاً من الغواية Temptation من أجل التخلص من المســـئولية الخاصة لحساب مسئولية الجمع ، ويصبح الفرد مجرد رأس فـــى قطيـــع البشر. لقد أصبح الإنسان جزءا من الحشد المجهول ، وبالتالى فقد التفـــرد والتميز ونسى إمكانيته الأصيلة ، هنا يصبـــح مجتمـــع الحشـــد بمثابـــة

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

دكتاتورية ضاغطة على الفرد.. إنها دكتاتورية لأنهـــا تخضـــع الجميـــع لأسلوب واحد من الحياة.. بمعنى آخر لقد تقولب الإنسان وأصبح بمثابـــة نسخة من الآخرين..[٥٢]

ويشرح هيدجر موضحاً تلك الدكتاتورية الزائفة المقيتة.. بقولـــه.. نحن نفعل منا يملى علينا ونحصل على سعادتنا كما يستمتعون ، نحن نقرأ ونرى ونمشى ، ونصدر الأحكام ، كل ذلك نفعله مثل ما يفعلـــون. نحـــن نتضاءل أمام القداس العظيم مثلما يفعلون.. إن الناس الذين هم لا بتحديد.. يفرضون علينا نمطاً واحداً معيناً من الحياة اليوميـــة.. إنهـــا دكتاتوريـــة الزيف..[٥٣]

ويلاحظ أن سمة "السقوط" Falling الهيدجرية لا تحمل الدلالـــة السلبية ، بمعنى أنها لا تعنى انفصال عن حالة مثلى ، وإنما السقوط فـــى العالم يعنى : أن الذات تستغرق فى الوجود مع الآخرين إلى الحـــد الـــذى يجعلها تنحى نفس المنحـــى ، وتسـير فـــى طريـــق اللغـــو والفضـــول والالتباس.[٥٤] إنه الوجود الزائف المستغرق بأكمله فى الحاضر ، والـــذى تحدده المواضعات الاجتماعية وكلها غير شـــخصية.[٥٥] والســـقوط فـــى مجتمع القطيع ما تلبث أن تشعر الإنسان بنوع من الملـــل والســـأم ، إنـــه يشعر بالاختناق ، ويحاول الخروج والبحث عن النجاة ولكنه يفشـــل فـــى ذلك، ومن ثم يقع فريسة الملل.. إن مجتمع الـــ (هم) علـــى حـــد تعبـــير هيدجر يجعل الإنسان يشعر بالقرف ، والضجر ويصاب بالتقيؤ النفسى..

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

(جـ) الحشد يعمل على تنميط الذات :

وجود الفرد مع الآخر يجعل الوجود الفردى مذاب فى وجود (الآخرين) ، وهنا تنعدم الميزات الفردية وتزداد تلاشياً. وفى هذه العملية تبزغ الدكتاتورية.. إنها دكتاتورية الحشد.. وفى تلك الحالة تجد أن (الفرد) يتلذذ ويستمتع عندما يتلذذ الحشد. ومجتمع الـ (هم) وهو شيئاً ليس محدداً هو الذى يصف لنا ويحدد لنا نوع الوجود الخاص بالأمور اليومية -ماذا يعنى ذلك- يعنى أن كل نوع من الأولية والمبادرة يتم كبته بشدة..[٥٦]

إن الحشد موجود على طول الطريق والأشياء ، وهو يضغط على الوجود الإنسانى الفردى لأجل أن يتخذ حكم وقرار الحشد.. إن الوجود الإنسانى الجزئى شلت قدرته على الاستجابة[٥٧].. (لقد تنمط الفرد فى الحشد)..

إن النفس الخاصة بالوجود الإنسانى اليومى هى النفس الخاصة بالحشد ، ولما كان الوجود الإنسانى الجزئى قد أصبح النفس الخاصة بالحشد ، فقد تشتت فى (الحشد). ويجب أن تجد النفس ذاتها.. وأنا فى إطار (الحشد) باعتباره كذلك (أعطى) بالأحرى (لنفسى) بل الأقرب أن نقول أن الوجود الإنسانى هو (الحشد) ويظل هكذا فى معظمه..[٥٨]

وإذا اكتشف الوجود الإنسانى العالم بطريقته وقربه ، وإذا كشف لنفسه وجوده الأصيل ، فإن هذا الاكتشاف (للعالم) وللوجود الإنسانى يتحققان دائماً كجلاء لنزع الحجاب ، وإزاحة أشكال الغموض ، وتمزيق للأقنعة التى تنشد فى وجه الوجود الإنسانى..[٥٩] (واكتشاف الذات لوجودها الأصيل معناه رفض الذات لعملية التنميط الحشدى)..

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أن الإنسان الذى يعيش بين الناس يعمل كما يعمل الناس ، ويفكر كما يفكر الناس ، ويحكم كما يحكم الناس ، ويقيس الأمور بمقياس الناس ، وبالجملة يصبح مجرد نسخة من كائن بلا اسم هو الناس ، يردد ما يقولونه ، ويسلك السبل التى يسلكونها ، ويثرثر كما يثرثرون ، وفى هذا يقضى الإنسان الفرد على فردانيته ، أى على وجوده الحق ، أى على ما يكون ذاتيته ، وشخصيته وأصالته ، ويصبح مجرد شىء بين أشياء ، وموضوع ضمن موضوعات ، وأداة فى وسط أدوات ، وفى هذا إهدار كامل لحقيقة الإنسان..[٦٠] ولكن ليس معنى التخلص من حالة السقوط تلك، أننا نتخلص من الآخرين ، ومن تأثيرهم على الذات ، فليس هذا الأمر ممكناً لأن الغير داخل فى تكوين الذات حتى ولو لم نعترف بذلك ، والواقع أننا حينما نعقد العزم على أن نحيا حياة أصيلة غالباً ما نصطدم بالمجتمع وبالعرف العام ، وبالتقاليد التى توارثتها الجماعات جيلاً بعد جيل ، ولكن ليس معنى هذا الاصطدام أننا لا نعترف بالآخرين ، ولا نحسب لهم حساباً، وإنما كل ما فى الأمر أننا لا نعترف ببعض الأوضاع التى يتخذها الناس فى حياتهم ، وحتى لو فرض علينا كفاحنا للقضاء على هذه الأوضاع نوعاً من العزلة المتوحدة ، فإنها عزلة غنية بالتفكير فى الآخرين. وبالرغبة القوية فى أن يحيا الغير حياة مثلى ، هى تلك الحياة التى دعونا إليها ، واضطرتنا إلى العزلة والابتعاد عن الناس..[٦١]

"القفز" من أجل "الآخر" :

ملاحظات هيدجر فى كتابه (الوجود والزمان) ، تسير فى اتجاه شبيه بأفكار بوبر ، فهو يعترف بوجود (حالتين متطرفتين) يتجلى فيهما

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الانشغال بالآخر ، فى إحدى هاتين الحالتين نرانا نقوم (بقفزة) من أجل الآخر : "هذا اللون من الانشغال بالآخر يتولى عنه ما ينبغى أن يكون موضع اهتمامه الخاص". وعلى هذا النحو يستبعد الآخر من وضعه الخاص ، فيخطو إلى الوراء ، بحيث يستطيع فيما بعد ، عندما يتم تدبير الموضوع. أن يتناوله كشىء منته ، وفى متناول اليد ، أو أن ينفض عبئه عنه تماماً. وفى هذا النص نتعرف على النمط المسيطر من أنماط الانشغال بالآخر ، ويعتقد هيدجر أنه نمط منتشر تماماً ولاسيما فى وجودنا اليومى ، أما النمط المقابل ، من أنماط الانشغال بالآخر ، فهو ذلك الذى يتخذ فيه المرء (قفزة إلى الأمام). أى أمام الآخر : "لا لكى يسلبه (العناية) الخاصة به ، بل لكى يعيدها إليه بطريقة أصيلة للمرة الأولى". فى هذا النمط من الانشغال بالآخر نجد المرء يعين الآخر ويفتح أمامه إمكانات وجوده "إنه يساعد الآخر على أن يكون شفافاً أمام نفسه ، فى حرصه على ذاته His Care ، وعلى أن يتفرغ لها بحرية"..(٦٢)

أولاً : جدل "الضرورى" و"المستحيل" عند سارتر :

هل يمكن أن يعتبر الإنسان فرداً منعزلاً قائماً بذاته ، أو موجوداً لا تكون له حقيقة إلا وسط الجماهير.. ؟ وهل الإنسان وجود داخلى تماما، أم أنه وجود خارجى أساساً ؟؟ أليس كل طرف من هذه الأطراف القصوى يؤدى إلى الآخر ؟ ألم يكن هيجل رائعاً حين أوضح لنا أنه : كلما أصبح الداخلى مستقلاً ومنعزلاً ، أصبح الخارجى أيضاً مستقلاً ومنفصلاً ؟ أى أنك كلما أكدت الفرد المنعزل المستقل ، فإنك ينفس الفعل وفى نفس

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

اللحظة تؤكد الإنسان الاجتماعى الذى لا يعرف ولا يفهم إلا وسط جماعة ومن خلالها ؟؟[٦٣]

من الضرورى إذن أن توجد مع الآخر.. وكأن وجود الغير بالنسبة إلى حمل بغيض أحمله دون أن أتمكن من الاستدارة إليه لمعرفته فهو أشبه بالظل الذى ينعكس على سائل متحرك لا يلبث على حال. وكأنه ثمة عدم يفصل بين وجودى الأصلى وذلك الوجود كما يراه الغير وهذا العدم هو حرية الآخر كما أن العدم الذى يفصل بينى وبين نفسى هو حريتى أنا..[٦٤] انه لمن المستحيل أن يكون الإنسان وحيداً فى الوجود وبلا علاقة تربطه ببشر مثله.. فهل يمكن أن يعتبر الإنسان فرداً منعزلاً قائماً بذاته ، أم موجوداً لا تكون له حقيقة إلا وسط الجماهير ؟؟ وصورتا الأنا والآخر عند سارتر تتمثل فى الضرورى والمستحيل. فى الصورة الأولى يقول سارتر عن الآخرين فى كتابه (الوجود والعدم).. الخطيئة الأولى عندى ليست شيئاً آخر إلا أننى وجدت فى عالم يوجد فيه الأغيار.. وهؤلاء الأغيار أو الآخرين يمثلون عند سارتر فى (جلسة سرية) الجحيم نفسه. حقاً أننى كفرد لابد وأن أقيم وزناً فى كل ما أقوم به لهؤلاء الأغيار ولإرادتهم. لكن ظهور هؤلاء الأغيار على مسرح حياتى لا يعنى إلا شيئاً واحداً فقط فى نظر سارتر ، هو أنهم وجدوا ليسلبونى حريتى ويهددوا حياتى..[٦٥]

وسارتر يعرض لجدل الضرورى والمستحيل ليبين لنا الحقيقة الإنسانية أو حقيقة الوجود الإنسانى.. فوجودى مع الآخر ضرورى بل نقول أن عالم الغير والتواجد معه أمر لا مفر منه.. ليس فى استطاعة

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الإنسان أن يحبس نفسه فى قمقم ، فإن قطب "الأنا" لا يستطيع أن يعيش إلا فى علاقته بقطب (الغير). حقاً أن المرء يولد بمفرده ، ويموت بمفرده، ولكنه لا يحيا إلا مع الآخرين وبالآخرين وللآخرين. وإذا كان قد وقع فى ظن البعض أن الشعور الفردى إنما هو ذلك الوعى الخاص الذى نستشعر معه أننا موجودون وحدنا دون الآخرين ، فإن هيدجر يقرر أن (الوجود بدون الآخرين) هو نفسه صورة من صور (الوجود مع الآخرين) ، بمعنى أن الشعور الفردى لا ينطوى على أى انفصال مطلق عن عالم (الغير) الذى هو من مقومات الوجود الإنسانى بصفة عامة. وكما أنه ليس ثمة (ذات) بدون (العالم) ، فإنه ليس ثمة (ذات) بدون (الغير).. (٦٦)

وقد كان سارتر على وعى بفكرة (الضرورى) أى ضرورة الوجود فى عالم من الآخرين لأن هوية الفرد لا تتحدد إلا وسط الآخرين ناهيك عن سائر السمات الاجتماعية والأعراف والتقاليد واللغة.. ولا شك أن الفضل فى نشأة اللغة الإنسانية يرجع إلى المجتمع نفسه وإلى الحياة الاجتماعية. فلولا اجتماع الأفراد بعضهم مع بعض وحاجاتهم إلى التعاون والتفاهم وتبادل الأفكار والتعبير عما يجول بالخواطر من معان ومدركات ما وجدت لغة ولا تعبير إرادى ، إن اللغة ظاهرة اجتماعية تنشأ كما ينشأ غيرها من الظواهر الاجتماعية : فتخلقها فى صور تلقائية طبيعة الاجتماع، وتنبعث عن الحياة الجمعية وما تقتضيه هذه الحياة من شئون.. (٦٧)

إن الإنسان -كما يقولون- (حيوان اجتماعى) وهو لا يستطيع أن يحقق مصيره إلا فى إطار الجماعة.. والواقع أن كل فرد منا -سواء أراد

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أم لم يرد- إنما يستلهم من المجتمع الذى يعيش فيه ، لغته التى يتكلم بها ، ومعاييره التى يدافع عنها ، وأهدافه التى يعمل من أجلها ، وعواطفه التى يجيش بها صدره. بل إننا لو أنعمنا النظر إلى الموجود البشرى -فيما يقول دوركايم- لوجدنا أن ما يجعل منه (إنساناً) بمعنى الكلمة ، إنما هو ذلك القدر المعين الذى يستطيع أن يتمثله من مجموع الأفكار والعواطف والمعتقدات ومبادئ السلوك التى نطلق عليها (مجتمعة) اسم (الحضارة) وهذا ما أثبته (روسو) منذ زمن بعيد ، فقد أظهرنا صاحب (العقد الاجتماعى) على أننا لو انتزعنا من الإنسان كل ما جلبه له المجتمع ، لما بقى منه سوى موجود حسى لا يكاد يتميز عن الحيوان..[٦٨]

بعد هذا العرض يتضح لنا أن فكرة الضرورة.. فكرة حتمية. بمعنى حتمية التواجد مع الآخر حتى يتمكن الكائن الإنسانى من تحديد ذاته، ولن تتشكل للفرد أية ملامح أو هوية يحاول أن يحافظ عليها ويدافع عنها ويعمل من أجلها إلا من خلال التواجد مَعَ (الآخر).. فالوجود مع الغير أمر ضرورى وحتمى وقدر لا مفر منه. وعندما يتعرض سارتر لفكرة الحرية فإنه ما يلبث أن يعترف بضرورة (الآخر) وفى كتابه (الوجودية فلسفة إنسانية) يقول : عندما نريد الحرية نكتشف أنها تعتمد اعتماداً تاماً على حرية الآخرين ، ونكتشف أن حرية الآخرين تعتمد على حريتنا.. فطالما هناك التزام ، أجد نفسى مضطراً فى اللحظة التى أريد فيها حريتى أن أريد فى الوقت ذاته حرية الآخرين ، واكتشف أننى لا أستطيع أن أستهدف حريتى إلا إذا استهدفت أيضاً حرية الآخرين..[٦٩]

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وإذا انتقلنا إلى فكرة المستحيل فنقول أنه فى وجود الآخرين من المستحيل أن تكون ذاتك كما تحب.. ففى اللحظة التى تتواجد فيها ذاتى مع (الآخر) تقام حدوداً أما حرية الآخر ، وحرية ذاتى أيضاً وهذا يعنى أن كلا منا لا يبدو أنه لذاته.. بل قد يصل الأمر بأن تشعر "الذات" ويشعر "الآخر" بأنه غير مرغوب فى وجوده.. أنه نوع من الصراع.. الصراع هو المعنى الأصيل لوجودى بالنسبة إلى الآخر.. ورغم ذلك أن وجود الآخر لازم وضرورى لوجودى ؛ لأن وجود الآخر يشعرنى بوجودى ، ولابد لكى أحست بوجود الآخر أن أحس بوجودى ، إنه الوعى الجدلى بين الذات والنحن.

والوعى لا يكف فى تطوره ، عن وضع ارتباطات ، تتابع وتتعمق دون انقطاع ، بين شخص جماعى وفردى ، (أنا – نحن) و (أنا – الذات) وذلك بفضل العمل المتبادل بينهما بصورة مباشرة وغير مباشرة ، وبفضل تضامنهما التأسيسى. إن "الوعى – نحن" ، "الوعى – أنا" فى حالة من الارتباط ، بحيث أن نمو أحدهما يشترط بالضرورة نمو الآخر. إن الـ(أنا) لا يعطى بشكل دافع قاطع ، على طريقة الحقائق الديكارتية ، البيئة الواضحة بل يتكون جدلياً ، فى جدلية معينة ، يلعب فيها الكوجيتو دورا محددا ، لا أكثر . إنه ينفى ذاته كـ (أنا) ليتحقق كـ (نحن) ، وينفى ذاته كنحن ، ليعثر على ذاته مرة أخرى فى الأنا [٧٠].

ثانياً : صور الجحيم السارترى :

يعرض سارتر لفكرة الجحيم فى مسرحيته الشهيرة (جلسة سرية) وسارتر كما هو معروف عنه يعرض أفكاره الفلسفية من خلال الأدب

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

سواء المسرحية أو الرواية ... والفكرة الفلسفية التى تعالجها هذه المسرحية هى فكرة (الآخر) وهى إحدى المشكلات الأساسية فى فلسفته وفى سيكولوجيته أيضا. وتكاد تكون هذه المشكلة هى المحور الأساسى للمسرحية ، وفكرة سارتر تتلخص فى أن .. الإنسان هو (الموجود لذاته) Le pour soi وهو فى نفس الوقت (الموجود للغير) Le pour autrui أى أن الموجود لذاته ، لا يقوم وجوده إلا بالغير ومع الغير .

ولكن سارتر لا يعنى بوجود الآخرين ، وجود الأجسام المادية ، ولكنه يعنى به الآخرين من حيث أن كلا منهم هو (موجود لذاته) أيضاً. وجود الغير حقيقة مباشرة. تتكشف لنا من خلال ظاهرة (الخجل) فمن خلال الشعور بالخجل يتكشف لنا وجود الآخر بوصفه (ذاتاً) تنظر إلى فتحيلنى إلى (موضوع) وحيث لا يكون ثمة آخر ينظر إلى ، فإننى اصبح (مركزاً) للأشياء. ولا يكون كل ما عداى إلا (موضوعاً) بالنسبة له ، يحاول عن طريقى أن يحقق غايته الفردية. إن وجودى يتحول حينئذ إلى وجود (أداة) أو (إحالة). ولا محل للحديث عن (الحب) و (التعاطف) و(المشاركة الوجدانية) و (بوسعنا أن نعتبر أنفسنا عبيداً عندما نظهر أمام الآخرين على حد تعبير سارتر نفسه)..[٧١]

ويرى (بلاكهام) أن الصيحة التى يطلقها جارسان هى صيحة الوعى الإنسانى والذى لم يستطع أن يتغير ولم يستطع التجدد.. إنه الوعى الجامد الذى لا يقدم إلا الماضى ، ومن ثم كان مجرد مصير مقدراً أو محتم..[٧٢] وينبغى ألا نؤمن على رأى سارتر إذا كان الآخر عنده آخر مطلق بمعنى أن الآخر هو الصديق والزميل والحبيب.. الخ. كل ما يحيط

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بالإنسان هو آخر.. فهل يمكن أن نطلق رؤية سارتر أنهم الجحيم؟؟ الحقيقة أننا سوف نأخذ برأى (هاينمان) حيث يعارض تلك النظرة.. يرى هاينمان : الآخر الذى يكشفه سارتر لنا ليس هو ذلك الصديق.. بل الآخر الذى يكشفه لنا سارتر يتمثل فى العدو بالنسبة للذات ، ذلك الآخر الذى يستحيل الصلح والتوافق معه..(٧٣)

(أ) الجحيم عندما تتحول الذات إلي موضوع :

الآخر هو الإمكانية الدائمة التى تحيلنى إلى موضوع مرئى.. ونظرة الآخر تحيلنى إلى شئ بين الأشياء ، وأدخل فى عالمه كموضوع للتأمل ، وموضوعاً لأحكامه.. إن وجود الآخر يجعل إمكاناتى تكف عن الظهور ، أو قل إن الآخر يجعل إمكاناتى تتحوصل داخلى.. وبمعنى آخر إن وجود الآخر يهدد حريتى وتلك هى المشكلة.. وهنا تعترى الذات مشاعر الضيق والتبرم بكل المحيطين..

ولولا أن الآخر يرانى وينظر إلى لظل شيئاً بين الأشياء لا يمتاز عليها فى شىء ، ولكنه بنظرته إلى يحيلنى أنا الآخر إلى شىء بين الأشياء ، وأدخل فى عالمه كموضوع للنظر والتأمل ، فموضوعيتى لا تأتى إلى من العالم ، مادام العالم يستمد موضوعيته من وجودى ، إذ أنه لا يستطيع أن يكون موضوعاً لنفسه.

ويسير سارتر فى كتابه الوجود والعدم إلى تلك المسألة.. الصراع بين الذات وذات الآخر.. المسألة إذن صراع بينى وبين الآخر ، أو بتعبير أصح "مبارزة" Duel ، فالغير هو الإمكانية الدائمة لإحالتى إلى موضوع

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

مرئى ، وهو "الارتداد المستمر للأشياء نحو حد أعتبره موضوعاً على بعد معين منى ، وفى الوقت نفسه يفلت منى طالما كان يبسط حوله أبعاده الخاصة به". وكأنما انشقت فى عالمى ثغرة واحدة أخذت تنساب منها الأشياء نحو الآخر دون أن أستطيع دفعاً لهذا الانسياب.

الآخر موضوع وذات. هو موضوع عندما أكون أنا ذاتاً بالنسبة إليه ، إذ لا أستطيع أن أكون موضوعاً بالنسبة إلى نفسى..[٧٤] يعبر سارتر عن ذلك فى مسرحيته.. جلسة سرية..

انيز : أترى ستظل هنا طيلة الوقت أم فى الخارج من حين لآخر؟

جارسان " إن الباب مغلق.

انيز : آه ! ... هذا سيئ للغاية.

جارسان : أفهم من هذا أنك متضايقة من وجودى هنا ، وأنا أيضاً من جانبى حسناً ، إذا شئت الصراحة ، كنت أفضل أن أظل وحيداً. إننى -كما لعلك تعرفين- أريد أن أفكر فى الأشياء التى تحدث فى الخارج ، ولأنظم حياتى ، والإنسان يفعل هذا بطريقة أفضل وهو منفرد..[٧٥]

صورة الجحيم هنا أن الذات تتحول إلى موضوع للتأمل والتفكير، إلى جانب هذه الصورة فإن العديد من المشاعر أو الانفعالات قد تحدث وقد تتكون نتيجة وجود الآخر مع الأنا.. وقد صوره سارتر فى "جلسة سرية" من هذه الانفعالات شعور القرف والتقزز والامتعاض والنفور..!

استيل : أنا لا أستطيع مطلقاً أن أحتمل فكرة وجود شخص يتوقع منى

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

شيئاً فهذا يجعلنى دائماً أعمل العكس.

انيز : حسناً ! افعلى هذا ! افعليه إذا كنت تستطيعين. أنت لا تعرفين حتى ماذا يتوقعون.

استيل : (وهى تخبط بقدمها) فظيع ! إذن فسيحدث لى شيئاً منكما (تحدق فيهما على التعاقب) أنا أعتقد بوجود شيء قذر. هناك بعض الوجوه تستقرئى منها كل شيء فى الحال. لكن وجهيكما لا ينقلان شيئاً على الإطلاق.(٧٦)

حالة القرف :

ليس المقصود بتجربة القرف هنا ظاهرة حسية أى ما يشعر به الإنسان إزاء الروائح الكريهة ، بل هى تجربة شعورية تحدث فى موقف ، إذ لا تثير رائحة عرق الحبيب القرف أو عبور المناضل فى الماء الآمن لأن الموقف نفسه الحب أو النضال ، يضفى على الانطباع الحسى. القرف ليس ظاهرة فيزيولوجية بل ظاهرة نفسية تبدو فى موقف إنسانى عندما تدخل الذات فى علاقات مع الآخرين أى أنها ظاهرة نفسية تبدو اجتماعية. ليس القرف من الأشياء اللزجة كالبصاق أو البلغم ، فاللزوجية لا تبعث على القرف فى كثير من الحالات ، فهناك لزوجة البالوظة والجيلاتين وطراوة الجسد.. وليس القرف حكماً مسبقاً على العالم أو تصوراً فلسفياً بل هو تجربة واقعة.. وليس القرف وليد تجربة ذاتية فردية بل هو تجربة ذاتية تنشأ فى أوضاع اجتماعية تبعث على القرف. القرف إذن ظاهرة ذاتية وموضوعية فى آن واحد..(٧٧)

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

اينز : (ثبتت عينها عليك) فمك ؟

جارسان : (كأنما قد صحا من حلم) معذرة !..

اينز : ألا يمكنك أن تبقى فمك مغلقاً ؟ يجب أن تغلقه طول الوقت. إنه كريه.

جارسان : آسف جداً ، لم أكن أعلم ذلك.

اينز : هذا ما أعيرك به دائماً.. (فم جارسان يرتعش) فأنت مع كلامك الكثير عن الأدب لا تحاول أن تضبط حركات وجهك ، تذكر أنك لست وحدك ، وليس من حقك أن تشيع منظر خوفك فى نفسى..(٧٨)

(ب) الجحيم والعرى النفسى :

إذا كان سارتر يقول بأن الجحيم هو الآخرون. فإن ذلك المعنى لابد أن يفهم بأن الوجود مع الآخرين يستلزم أن يكون الوجود (عارياً) بمعنى أن يصبح الوجود الشخصى بالنسبة للآخرين بمثابة ورقة مقروءة بمعنى أكثر وضوحاً عندما نكشف أنفسنا للآخرين ، عندما تصبح كل دقائق حياتنا ، وكل مشاعرنا النبيلة والدنيئة مكشوفة للآخرين. هنا يصبح الإنسان فى جحيم حقيقى ، فالآخر يعذبه فى كل لحظة.. لأنه فتح ذاته أو فتح بابا ذاته على مصراعيه فسمح للآخرين بالولوج إلى داخله من أجل معرفة كل دقائق ما يحمله من أفكار وأفعال مشينة ، قد يكون هو مقتنعاً بها ولكنها فى الحقيقة ضد الآخرين وضد المجتمع ، هنا يصبح الوجود مع الآخرين بمثابة الجحيم بل وقمة الجحيم الذى لا مفر منه.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وفي مسرحية سارتر (جلسة سرية) : نجد (جارســـان) جبـان ، مخادع ، هارب من خطوط الدفاع ويدعى أنه كان من أنصـــار السـلام ، ولذاك حكموا عليه بالإعدام.. (استيل) تزعم أنها تزوجت برجـــل ثـرى لتحصل على المال من أجل أسرتها ، ولكنها أحبت شاباً وخانت زوجها.. و(انيز) أنها امرأة شاذة فهى مصابة بالسحاق. وهـــى تســخر مـــن كـــلا النصين وتطالبهم بالحقيقة.. وهنا نعرف أن (جارسان) كان فظاً قاسياً فى معاملته لزوجته ، وكان يأخذ عشيقته وينام معها على فراش زوجته ، بل ويجبر زوجته على أن تحضر لهما الطعام فى الفراش !!.. وتقول (استيل) أنها دفعت عشيقها للانتحار لأنها قتلت طفلها منه. أما (انيز) فتعترف أنها أغرت امرأة بهجر زوجها كى تعيش معها ، ولكن المرأة أحست بـــالذنب فقتلت انيز ونفسها.. وتقول انيز فى النهاية : حسناً ، ها نحن عرايا بمـــا فيه الكفاية..

ومعرفة الأطراف الثلاثة لكل ما هو غير إنسانى وكل ما هو شاذ وغريب يجعل الأطراق الثلاثة فى موقف من الخجـــل.. وهنـــا يحـدث الجحيم.. وليس هناك من سبيل لتفادى هذه الجحيم.. لقد كشف كل واحـــد نفسه بكل تفاصيلها وليس بإمكان أحد أن يخفى ذلك العرى. إنـــه عـــرى مدرك من قبل الآخر.. هو عرى قائم فى وجه الآخرين وهذا هو الجحيم.. فكيف يمكن إلغاء وعى الآخر بعرى الذات !؟ هنا نقول أن وعى الآخـــر وعى قاتل وليس من سبيل لتحاشيه..

جارسان : ..... يحاول كل منا أن ينسى وجود الآخرين.

انيز : أن ننسى الآخرين ، ما هذه الصبيانة. إن شعورى بك ينفـــذ

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فى حتى العظام ، وصمتك يصرخ فى أذنى ، ولو استطعت أن تغلق فمك بالمسامير ، وأن تجتث لسانك من بين فكيك ، أيمنعك ذلك من أن تكون موجوداً هناك ؟ هل تستطيع أن توقف تيار أفكارك ! أننى أسمعها تدق مثل الساعة.. تك.. تك.. تك.. تك ، وأنا واثقة أنك أيضاً تسمع أفكارى..[٧٩]

هنا تأكد لنا قضية يركز عليها سارتر ألا وهى أن وعى الآخر بالنسبة للذات جحيم ولا سبيل من تحاشيه وهذا خلافاً لما ذهب إليه هيجل فى ظاهريات الروح عندما تحدث عن الوعى والشعور بالامتنان.. إن الوعى الذاتى أو الفردى يبلغ حالة الامتنان والرضا فى وعى ذاتى آخر.[٨٠] وبلغه هيجل أيضاً.. إن وعى (الأنا) يستشعر وعى (الأنت)..

(ج) الجحيم.. استحالة العلاقة مع الآخر :

وجود الآخر يحد من حرية الذات ، وهنا يحدث التصادم وهذا ما عبر عنه سارتر بقوله : إن الآخر عقبة بمقدار ما أنظر إليه.. لكن الآخر لا يكون عقبة إلا بحريته نفسها.. إن جوهرى هو الحرية ، والآخر جوهره الحرية.. ولما كان الصراع هو المعنى الأصيل للكينونة للآخرين Being - For - Others فهذا يعنى أن الآخر لا يعد عقبة إلا بمقدار ما تضعه حريتى هكذا..[٨١]

ويمكن القول أن الجحيم الحقيقى هو عالم الآخرين الذى لا فكاك منه. إنه وجود الآخرين فى الوقت الذى يستحيل فيه قيام علاقة مشتركة متساوية بين الأفراد. وبلغة هيجل أن الوعى يحاول أن يقضى على وعى الآخر.. وهذا الفهم استخدمه سارتر عندما صور استحالة قيام علاقة بين

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

(جارسان) و (استيل) بسبب وجود (انيز) ، فوجود الثالث يمنع من قيـــام تلك العلاقة.

استيل : على أية حال ، هل تريدنى ؟

جارسان : نعم.

استيل : لا أطمع فى المزيد.

جارسان : فى هذه الحالة (ينحنى عليها).

انيز : استيل ! جارسان ! لابد أنكما جننتما. لستما وحيدين فأنا هنا أيضاً.

جارسان : بالطبع – لكن ماذا يهم.

انيز : فى حضورى ! لا تستطيع – لا تستطيع أن تفعل هذا.

استيل : ولماذا لا يفعل ؟ لقد اعتدت أن أخلع ملابسى وخادمتى تنظر إلى

.....

انيز : حسناً جداً ، افعل ما تشاء. أنا الجانب الأضعف. واحد ضـــد اثنين. لكن لا تنسى إنى هنا ، أراقبك. فلن أحيد النظر عنك يـــا جارسان ، عندما تقبلها ستشعر بعيونى تزعجك نعم أفعـــل مـــا يحلو لك. أضع حبك وأجثه ، إننا فى الجحيم ، وســـوف يحيـــن دورى.[٨٢] إن الآخر موضوع وذات ، كما أننى موضع وذات ، والعلاقة بينى وبين الآخر ليست علاقة معرفة ، ولكنها علاقـــة

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وجود ، وهذا الوجود الذى أحياه حينما أشعر بـــالآخر وجـــود غامض مبهم غير محدد ، ويستمد غموضه وإبهامه وعدم تحدده من حرية الآخر وهى حرية لا أســـتطيع معرفتهـــا أو التكهـــن بإمكانياتها فكأن وجود الغير بالنسبة إلى حمل بغيض أحمله دون أن أتمكن من الاستدارة إليه لمعرفته فهو أشـــبه بـــالظل الـــذى ينعكس على سائل متحرك لا يلبث على حاله ، وكأن ثمة عـــدم يفصل بين وجودى الأصلى وذلك الوجود كما يراه الغير ، وهذا العدم هو حرية الآخر كما إن العدم الذى يفصل بينى وبين نفسى هو حريتى أنا. وعن طريق حريته يستطيع الآخر أن يتعالى عن إمكانياته هو الخاصة. فأراها تفر بعيدة عنى مصطحبـــة معهـــا الأشياء ، والموضوعات التى كانت قبل ظهور الآخر متمركـــزة حولى ، فالغير موت لإمكانياتى بحيث لا أعود ســـيداً للموقـــف بظهوره.

وإذا كان سارتر يركز على فكرة الفردية وفكرة استحالة التواصل بين الذوات فإننا نجد مفكراً مثل (رويس)(*) ينتقد تلـــك النزعـــة الفرديـــة ويصفها على النحو التالى :

وتبدو الذات فى ملكوتها وكأنها سلطة مطلقة تتحـــدى أيـــة إرادة خارجية أو معرفة تحاول تحديد طبيعتها أو مداهـــا أو معناهـــا.. وهكـــذا

(*) جوسيا رويس Josiah Royce فيلسوف أمريكى من أشهر كتبـــه (مشـــكلة المسيحية) و(العـــالم الفـــرد).. The problem of christianity, the world and the individual

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

تصبح كياناً منعزلاً لا يمكن بلوغ جوهره.. وإذا ما امتلكت حقوقها المشروعة الخاصة بها ستغدو وحدة النظام الأخلاقي بأكملها مركزاً لعالمها... إن المشكلة الأساسية والتى تواجهها أية نزعة ذاتية واقعية كهذه إنما هى كيف ستحصر هذه الذات مصالحها بها فقط دونما التزام بأية مسئولية تجاه الذوات الأخرى أو تجاه الله أو أية سلطة مطلقة تقع خارج حدود نزواتها.

ويعرض جوسيا رويس نقطة مهمة حينما يقول أن النزعة الفردية التى يتغنى بها سارتر وجو مورجان لن تتحقق إلا فى المضمون الاجتماعى ، يقدم (رويس) فى كتابه مشكلة المسيحية The Problem Of Christianity تحليلاً فى آن واحد ، ويشير إلى أن الفرد يكتسب وعياً بذاته عبر معارضته للإرادة الاجتماعية فى الوقت الذى تلهب فيه الإرادة الاجتماعية حماس الإرادة الذاتية ويتعلم الفرد الذى تم تدريبه اجتماعياً على آلا يؤكد على إرادته فقط عبر معارضة الإرادة الجماعية بل ويحترمها أيضاً. يذكر (رويس) إنما النزعة الفردية والنزعة الجماعية ميلان يشدان من أزر بعضهما الآخر كلما تطور نظامنا الاجتماعى.[٨٣]

دلت دراسة حياة الإنسان على أنها دائماً ولا تزال حياة اجتماعية فلم يستدل على أن حياة انفرادية للإنسان قد تحققت فى أى عصر من العصور. وليس هناك ما يؤيد ما ذهب إليه بعض الفلاسفة قديماً مثل السوفسطائيين والأبيقوريين أو حديثاً مثل توماس هوبز ، وجان جاك روسو ، وجون لوك من أن الإنسان كائن يعيش منعزلاً قبل أن يجتمع مع غيره من الأفراد ، وأن الاجتماع إنما جاء نتيجة ظروف خارجة عن إرادة

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الإنسان اضطرته أن يودع حياة العزلة ويكون المجتمع سواء كانت هذه الأسباب فيضاناً أو زلازل أو مجاعات أو غير ذلك.

ومع أن الإنسان يعيش فى مجتمع فليس معنى ذلك بالضرورة أن يكون عند الإنسان ميل فطرى للاجتماع ، كما يوجد عنده ميل فطرى نحو الطعام أو الجنس الآخر مثلاً. بل يعتقد علماء النفس أن الميل إلى الاجتماع إنما ينشأ نتيجة تفاعل الفرد بالمجتمع على مستوياته المختلفة سواء المنزل أو المدرسة ، أو العمل والمجتمع الكبير.[٨٤] ويمكن أن نعرف المجتمع بأنه مجموعة أفراد يتسم تجمعها بالبقاء وتتقاسم فيما بينها منافع موحدة ومكان واحد ، وأسلوب واحد للحياة ولهم روح واحد يميزهم عن غيرهم ، ويحمل الأفراد ولاء نحو هذه الجماعة يبدو فى صورة قيم أخلاقية تلزم الفرد باتباعها مثل طاعة الوالدين أو الذهاب إلى المدرسة أو الدفاع عن الوطن ، وهذه القيم الأخلاقية تحد من حرية الفرد وتجعله يضحى من ذاتيته كثيراً..[٨٥]

معرفة الذات تعنى الانفتاح على الخارج :

إن مقولة سقراط المعروفة "أعرف نفسك" معناها أن يبحث الإنسان فى ذاته عن الجوهر.. إن الهدف من معرفة الإنسان لذاته هو ألا يفقد تلك الذات وسط الحشد.. ومعناها أيضاً ألا تصبح تلك الذات سجينة نفسها بحيث تنغلق على نفسها ، وتقطع كل صلة لها بالخارج.. مقولة "أعرف نفسك" تعنى أمران :

أولاً : ألا تنغلق على ذاتها. ثانياً : ألا تضيع الذات فى الخارج.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أنها تعنى "اللاانغلافية" و"اللاضياع" أنها تعنى الانفتاح على الخارج على الآخرين. والفيلسوف الروسى بردياف يتناول قضية ضياع الذات فى الخارج أو سقوطها فى وسط الأشياء والمجتمع. وهو يرى أن العبودية الخارجية هو نتيجة العبودية الداخلية. ليس المجتمع القمعى التسلطى إلا نتيجة مباشرة للعبودية الداخلية للإنسان ، فالإنسان عند بردياف يحيا تحت سطوة وهم ، أو سحر هو من القوة بحيث يبدو كما لو كان وعياً مألوفاً عادياً. هذا الوهم يجد أصدق تعبير عنه فى وعى الإنسان بنفسه بأنه قد كتب عليه أن يكون عبداً لما هو خارجى فى نفس الوقت الذى كتب عليه أن يكون عبداً لنفسه ، ومعنى هذا أنه يحدد علاقته بالآخر The Other بطريقة استعبادية منبثقة من تحديده علاقته بذاته على هذا النحو أيضاً. فالعبودية الخارجية هى نتيجة مباشرة للعبودية الداخلية. ويصف بنا بردياف تلك العبودية الداخلية فيقول : والنزعة الذاتية The Original Sin Of Man فهى تدمير للعلاقة الحقيقية بين الأنا I ، والآخر Other Ego ، بين الله والعالم والبشر ، بين الشخصية والكل. وهى حقيقة أمرها مجرد وهم Illusory بل إنها ذات طبيعة شمولية مدمرة Distorted Univerdalism ، وهى ترى العالم وكل واقع آخر فى هذا العالم برؤية زائفة ، إنها فقدان القدرة على الاستقبال الحقيقى للواقع.[٨٦] إن الإنسان ليس موجوداً يكفى ذاته وليس مغلقاً عليه فى ذاته ، بل الإنسان هو الإنسان بفضل ما يفعله ويتخذه. والإنسان ، فى كل مظهر من مظاهره، على علاقة بشىء آخر. ومن حيث هو موجود فى مواقف عينية واقعية فى الحياة ، أى من حيث هو هناك Desein فإنه على صلة بالعالم، عالمه. ومن حيث هو شعور بوجه عام ، فإنه على صلة بفكرة

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الكل من جهة ما يحدده. ومن حيث هو موجود فهو على صلة بالعلو. والإنسان يصبح إنساناً من حيث يتقدم لما هو غيره ، أعنى أنه لا يصبح ذاته إلا بالاتصال بالموضوعات والأفكار والعلو..

وعلى الرغم من أنه كثيراً ما كان يفترض أن المجتمع يتشكل عن طريق تجمع الأفراد بعضهم إلى بعض ، فإن معظم علماء الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) وعلماء الاجتماع المعاصرين يقولون أن الأفراد ينبثقون من مجتمع يسبقهم فى الوجود. وصحيح أيضاً أن كثيراً من الفلاسفة الوجوديين يعطون الانطباع بأنهم فرديون بقوة ، فكيركجور يجعل من الفرد مقولة رئيسية فى فلسفته ، ولقد أكد هو وحلفاؤه على المسئولية الفردية التى لا يمكن تحويلها للغير والملقاة على عاتق الفرد كلما واجهته القرارات التى يفرضها عليه الوجود ، ولا شك أنهم لفتوا الأنظار إلى شيء أساسى تماماً بالنسبة لوجود الموجود البشرى. فعلى كل شخص أن يتخذ قراره بنفسه فى موقفه الفريد ، وعليه أن يأخذ على عاتقه مسئولية اتخاذ القرار. وهناك جوانب من الموجود البشرى تبدو انعزالية فى جوهرها ، فمواجهة الموت هى مثال آخر على هذه الجوانب..[٨٧]

فكرة المشاركة والتلاقى بين "الأنا" و"الأنت" :

يرى اريك فروم "أن الرغبة الإنسانية فى التوحد مع الآخرين متأصلة بجذورها فى شرط الوجود المميز للجنس البشرى ، وهى من أقوى دوافع السلوك الإنسانى. لقد فقدنا – ككائنات بشرية تجمع بين حد أدنى من الاستجابة لحكم الغريزة وحد أقصى لاستخدام العقل – توحدنا الصلى مع الطبيعة. ولكيلا نشعر بالعزلة التامة ، وهى التى يمكن أن

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

تدفعنا -حقيقة- إلى الجنون - فإننا بحاجة إلى توحد جديد مع الطبيعة ، ومع إخواننا فى البشرية.(٨٨)

ويرى مارسل أن أول لقاء مباشر بيننا وبين ما أطلق عليه اسم (سر الوجود) إنما يتحقق عبر "المشاركة" الحية.. وجبرييل مارسل يحاول فى أكثر من موضع إظهارنا على أن "الوجدان" هو أسلوبنا البشرى فى المشاركة ، فنراه يضرب لنا مثلاً بالرابطة الوجدانية العميقة التى تنشأ بين الفلاح والأرض ، أو البحار والبحر ، لكى يخلص إلى القول بأننا نستطيع أن نفهم -من خلال تلك الأمثلة- ماذا تعنى "المشاركة". وآية ذلك أن تعلق الفلاح بالأرض ، أو تعلق البحار بالبحر ، ليس مجرد علاقة تقوم على المتعة ، بل هو رابطة وجدانية تعدو كل مصلحة. وليس أدل على صحة ما نقول من أن الفلاح لا "يملك" الأرض ، وكأنما هى مجرد "شىء" قد استحوذ عليه ، بل إن الأرض -فى الحقيقة- قد أصبحت جزءاً لا يتجزأ من صميم وجوده. ومعنى هذا أن ثمة ضرباً من الاتحاد أو "التطابق" الوجودى الذى قد تحقق بين الفلاح وأرضه ، بحيث أن أية قطعة قد تحدث بينه وبين تلك الأرض لابد من أن تنطوى بالنسبة إليه على فقدان حقيقى لذاتيته. وهذه الرابطة العميقة التى تتحقق عبر (المشاركة) (كما هو الحال فى مثال الفلاح وأرضه إنما هى النموذج الحى لتلك العلاقة الجوهرية التى تجمع بين الإنسان و(سر الوجود)..(٨٩)

إن المشاركة عند مارسيل قيمة من القيم الإنسانية الهامة والتى تهتم بها الفلسفة الوجودية ، ويرى أنه عن طريقها يتحقق الوجود الإنسانى الصحيح. ويلاحظ أن مصطلح "الإنسانية" له معانى عدة قد لا نجد أكثرها

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

متحققاً فى الوجودية. فهناك على ما يقـــول روجـرش Roger Shinn تمييزاً حاسماً بين ما يسمى "بالإنسانية المفتوحـــة Qun Hamanism.. وبين ما يسمى "بالإنسانية المغلقة Closed - Humanism" ، وبينما تشير الإنسانية المفتوحة ببساطة إلى تعقب القيم الإنسانية فى العـــالم ، نجـد أن الإنسانية المغلقة تعبر عن أن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذى له معنـــى وقيمة فى العالم..[٩٠] يقول مارسل : أن حدوث رابطة بينى وبين الآخرين أمر ممكن ، وذلك حينما اكتشف أن بينى وبينهم خبرات مشتركة. زيـــارة نفس المكان –التعرض لنفس الخطأ– قراءة أحد الكتب.. الخ. ومن ثم فإن وحدة تؤلف بينى وبينهم نسميها (نحن) و(نحن) هذه تجعلنى أكـــف عـــن تردد (هو) وإنما أقول (أنت) حيث يشير (أنت) إلى اتصال الواحد بالآخر، وتكوين وحدة حيوية بينى وبينه..[٩١] وعلى عكس (سارتر) الذى يرى أن الجحيم هو الآخرون.. يذهب مارسل إلى أن الجحيم هو الذات المغلقة على نفسها.. الذات التى لا تنفتح على حب الغير ، ولا تعكف إلا على نفسها ، ولا تكف عن تقويم هذه النفس وتقديرها ونقدها.. وقد عبر مارســـل عـــن ذلك فى مسرحيته "رجل الله".. حيث ركز على فكرة "عدم التفتح للغـــير" وهى حالة تصيب أولئك الذى يستغرقون فـــى محاســـبة أنفســـهم بحيـــث يصيبهم نوع من الهوس الأخلاقى فلا يفطنون إلى ما يدور فـــى نفـــوس أقرب الناس إليهم.

وهذه بالضبط هى حالة كلود ليموان أو رجـــل اللـــه فـــى هـــذه المسرحية ، فهو قسيس فى إحدى المدن الفرنسية الصغيرة ، وقد كـــرس نفسه تكريساً تاماً للمهنة التى يمارسها بنفسه ، بحيث لم يعد فيهـــا مكـــان للآخرين، وأصبح هو والوظيفة التى يقوم بها شيئاً واحداً ، وشيئاً فشـــيئاً

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

اكتست شخصيته بطبقة صلبة أو بقناع خارجي انطبعت عليه مجموعة من الحركات الآلية ، والتصرفات المتزمتة الجامدة. وفي المسرحية نجد الحوار بين الزوجة (إدميه) والقسيس (كلود) حيث يتضح لنا كيف انفصل الراهب عن الواقع حتى تعامله مع زوجته يعاملها على أساس أحد الأفراد في الكنيسة..

الزوجة (إدميه) : أنت ، كلما فكرت في أني لم أرك غاضباً قط ! (تقع فريسة لرعدة عصبية) أتعتقد أنني لا أتكهن بما يدور في رأسك هذه اللحظة. أنك تحتقرني ، لأنني مرتبكة.

كلود (القسيس) : (بصوت منخفض) عزيزتي.. لقد حملت صليبك معك.

إدميه : كلود. إنك زوجي.. ولست قسيساً.

كلود : (بنفس اللهجة) إن ما حدث لنا قد أراده الله.. إن هذا لا يمكن أن يكون مجرد حادث عرضي.. إدميه.. إن هذه المحنة..

إدميه : دائماً هذه الكلمة المروعة.

كلود : يجب أن نحياها في إيمان المسيحيين.

إدميه : أنك لا تستطيع أن تحياها كإنسان.

كلود : (بصوت خافت) ألا تريدين أن تصلي معي؟..[٩٢]

إن كلود ليموان (القسيس) يتلقى اعترافات الناس ثم يفاجأ باعتراف كامل من زوجته (إدميه) بأنها قد خانته مع جار لها يدعى (ميشيل ساندييه) وذلك بعد أن اتسعت بينهما الهوة نتيجة لاكتشافها أن زوجها الذي

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

يعيش للآخرين -بحكم وظيفته- لا يشعر بما يعتمل فى نفسها من آلام ، وما تعانيه من فراغ ووحدة. وحين يتلقى (كلود ليموان) هذا الاعتراف من زوجته يمضى فى (تمثيل) وظيفته إلى النهاية ، يقول (كلود) القسيس لأمه (مدام ليموان).. لقد عاملتها كما أعامل طفلة..

مدام ليموان : إنك تذل نفسك إلى هذا الحد أما تلك التى.. أما أنـــا.. فاعلم تماماً أننى لا أستطيع الصفح عنها.

كلود : الصفح يا أماه.. لا معنى له إلا بينى وبينها..

مدام ليموان : إنها ليست جديرة بشخص مثلك.

كلود : عندما أفكر فى كل ما حمله إلى هذا الصفـــح.. هـذا السلام الداخلى.. هذا الشعور بالقوة التى تريـد وتعمـل معك.. لابد لا منك.. أما قبل ذلك فقد كنت أتخبط فـــى الظلام.. إنها المحنة يا أماه.. وقبل هذا الشهر الرهيبـــة كانت هذه الكلمة جوفاء عاطلة من المعنى.. ولكن عندما يعانى المرء ما عنيته أنا..

مدام ليموان : ولكنها لم تشعر بشىء من هذا.

كلود : إن أفضل ما فى هذه المحنة.. هو أنها لم تفهم شـيئاً.. فقد كنت وحدى تماماً.. أمام الله.. وشيئاً فشيئاً أحسست أنها استردت الثقة بنفسها.. ما أعجب الطريقة التى كانت تنظر بها إلى حين تعتقد أننى لا أنتبه إلى شىء!.

وبذلك النداء الأبكم فى عينيها ! لقد كنت كأنما أســـاعد

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

شيئاً على الحياة. شيئاً هشاً.. شيئاً كل ما فيه يضعف الأمل فى بقائه..(٩٣)

ويجتاز القسيس أزمة ضمير عنيفة ، يحاول فيها أن يسبر أغوار روحه ، فلمس خداعه لنفسه وأن كرمه الظاهرى نحو زوجته ، أو ذلك السخاء الذى أبداه بحكم مهنته ، ما هو إلا ضرب من هذا الخداع الذاتى ، وينغمس هوة الارتياب فى النفس والاتهام لها.

كلود : إذا كانت حياتى يعتورها شىء من اللبس والغموض.. فلقد كان من الأفضل أن أبدده.

فرانسيس : لبس ؟

كلود : إذن ، فربما لم تفهم ما أريد ؟ المسألة أن المرء قد يعيش أعواماً طويلة على فكرة معينة عن نفسه ، ويعتقد أنه يستمد منها قوته. ثم يلاحظ فى النهاية أنه ربما كان مخطئاً فى ذلك خطأ فاحشاً..(٩٤)

يمكن القول أن كلود ليموان ذلك القسيس يعانى من حالة اغتراب ذاتى.. لقد حدث انفصال بين ذاته الإنسانية ، وذاته الدينية الطقوسية.. ما يفعله كلود هو أنه يتعامل مع الأفراد كأدوات ، إنه يمارس مهنته وطقوسه بشكل معين لقد تقولب كلود ليموان فى إطار خاص به ، وبتعبير أدق لقد تحوصل فى ذاته ، ومن ثم بعدت الشقة بينه وبين الذات الإنسانى والأفراد الآخرين بوصفهم بشراً إنسانيين.. يحدد فيورباخ صفات الكائن الإنسانى من خلال قوى هى : العقل والإرادة والوجدان. وتمثل تلك القوى الثلاثة كمالات الوجود الإنسانى بل تمثل الكمالات المطلقة للوجود الإنسانى ، أو

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

كما يقول فيورباخ : كى تريد ، كى تحب ، كى تفكر ، فتلك هى القوى العليا ، والطبيعة المطلقة للإنسان كإنسان ، وهى أساس وجوده فالإنسان يوجد من أجل أن يفكر ، أن يحب وأن يريد..[٩٥] ما حدث لكلود ليموان هو حالة من الاغتراب الدينى وأصبح متجه بكل كيانه إلى خدمة الرب والدين ، وكل طقوسه ومراسيمه التى يقوم بها فى الكنيسة.. إن ما هو ذاتى أختلط ما هو موضوعى وأصبح فى حالة انفصال عن ما يميز الإنسان.. وعلى حد تعبير فيورباخ : إن الدين هو حلم ، فيه تبدو تصوراتنا ومشاعرنا وكأنها وجود مستقل ، كائنات خارج ذاتنا فالعقل الدينى لا يميز بين الذاتى وبين الموضوعى..[٩٦]

ويجتاز كلود ليموان أزمة ضمير عنيفة ، يحاول فيها سبر أغوار روحه ، فلمس خداعه لنفسه وأن كرمه الظاهرى نحو زوجته ، أو ذلك السخاء الذى أبداه بحكم مهنته ، ما هو إلا ضرب من الخداع الذاتى ، وينغمس فى هوة الارتياب فى النفس والاتهامُ لها..

كلود : (بعمق).. لقد اعتقدت أن هذا العفو كان عملاً من أعمال الإحسان ، عملاً يليق برجل مسيحى (حركة من إدميه). فإذا كنت لم أقصد به إلا الهرب من الفضيحة أو العزلة ، أما الآن وقد أرغمتنى على أن أفتح عينى ، فإنك جئت تضعين راحتيك فوقهما لكى يسود الظلام مرة أخرى.. فماذا تردين منى إذن ؟ وماذا فعلت لك ؟

.....

كلود : لماذا يوجد كل هذا الخبث فى عينيك ؟ ماذا صنعت لك ؟

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

إدميه : إنك لم تصنع بى شيئا.. لقد كنت أنت نفسك.. وكنت أنا نفسى ثم تزوجنا.. وهذا يكفى ، أما ما تسميه بخبثى.. فأنت تعلم أن عشرين عاماً من العذاب..

كلود : من العذاب ؟

إدميه : إنى لم أكن أعرف ، أنا نفسى ، كم تعذبت.. فقد نسيت ذلك.. اننى لم أحس بذلك إلا فى الأوقات الأولى ، قبل أن ألتقى بميشيل، وعندما علمت أن الحب بالنسبة لك..

كلود : بل لقد أحببتك بهذه الطريقة..

إدميه : كلا.. لقد كانت لديك قوة صحيحة غير منقوصة وقد أنفقتها معى كما تنفقها مع ابنة لك. ولكن.. ليس هذا هو الحب.. وأنت تعلم ذلك جيداً .. أو غير ذلك ، أما حبك لروحى ، أما المرأة التى توجد داخل نفسى، فإنك لم ترضها ، بل إنك لم تفطن إلى وجودها..

كلود : المرأة التى فى نفسك ؟

إدميه : أجل.. إنك لا تستطيع أن تفهم.. أوه.. من المحتمل ألا يكون هذا ذنبك.. إن ذلك كله هو الضريبة التى دفعتها على فضائلك..[٩٧]

ما كان يجب هو أن يفصل كلود بين حياته كإنسان ، وحياته كوظيفة فى الكنيسة.. هناك أموراً لا يمكن أن ننكرها وهى أن حياة البشر مختلفة إلى حد كبير عن الحياة بشكل دينى.. وتكشف إدميه له الحقيقة

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

عندما تقول له (.. لقد كنت نفسك.. وكنت أنا نفسى ثم تزوجنا..) إنك لم تصنع بى شيئاً.. لقد عاش كلود مغلقاً على نفسه ، ولم يحاول أن يدخل فى مشاركة وانفتاح مع الزوجة فظلا كلاهما ذاتان منفصلان.. وينهار كلود فى نهاية الأمر عندما يكتشف أنه لم يعش مطلقاً بشكل إنسانى ، بل قل إنه لم يعرف معنى إنه إنسان.. ما أقسى هذه الحقيقة.. الجهل بحقيقة الذات.. وعزلة الذات البشرية عن الذوات الأخرى.. إن ذلك هو الجحيم الحقيقى.. كثيرين مثل كلود ليموان ولكن الجميع لا يريد أن يعترف أنهم فقدوا جوهرهم الحقيقى.. فقدوا جوهرهم الإنسانى..

وفى حوار كلود ليموان مع أمه..

مدام ليموان : (تقول لكلود ابنها).. لقد عشت حياة مسيحى عظيم.

كلود : كان ينبغى أن أحيا أولاً حياة إنسان ، فأنا لست إنساناً ولم أعرف كيف أحب كإنسان.. وكيف أكره كإنسان..

مدام ليموان : تكره ؟

كلود : أجل.. أجل.. أكره أيضاً.. إننى لست شيئاً ، إننى لست شيئاً..(٩٨)

لقد اكتشف كلود ليموان فى النهاية مدى فداحة الموقف ، لقد انفتحت عيناه على حقيقة مرعبة ، إنه كائن منعزل غير قادر على التواصل ، وكل أفعاله ووظيفته هى نوع من الآلية الجامدة التى تضيع الذات ، إنه يرتبط بالآخرين بشكل طقوس جامد وليس بشكل تلقائى إنسانى.. ويشير اريك فروم إلى نفس تلك الظاهرة ، أقصد الارتباط

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

التلقائي سواء بالعالم أو بالآخرين ، ويرى فروم أن النشاط التلقائي يتميز عن الأنشطة الأخرى بأنه نشاط ليس اضطرارياً ، أو يقوم به شخص هروباً من عزلته وعجزه ، وليس هو أيضاً نشاط الإنسان الآلي الذى يمارس عملاً بلا وعى أو تفكير ، إن النشاط التلقائي هو نشاط حر للنفس ويتضمن -من الناحية السيكولوجية- ما يعنيه الأساس اللاتيني للكلمة Sponte حرفياً عن الإرادة الحرة للإنسان. وجدير بالذكر أن نذكر أن فروم أحياناً ما يشير إلى هذه النشاط التلقائي باصطلاح آخر هو "الاتجاه المنتج Productive Orientation" ويعبر هذا الاتجاه عن.. أسلوب للارتباط بكل مجالات الخبرة الإنسانية ، إنه يتضمن الاستجابة العقلية والوجدانية والحسية نحو الآخرين ، ونحو النفس ، ونحسو الأشياء. إن الإنتاجية هى قدرة الإنسان على استخدام قواه وتحقيق الإمكانيات الكامنة فيه ، وإذا قلنا أنه يجب أن يستخدم قواه فإننا نقصد القول أنه يجب أن يكون حراً ، وليس معتمداً على أحد يتحكم فى قوته..(٩٩)

إن الأنا عند جبرييل مارسل -على عكس سارتر- هو فى جوهره اتصال بالأنت وبالأشخاص الآخرين. وعلى حين ينتهى سارتر من تحليله لعلاقة الذات بالغير إلى إخفاق هذه العلاقة فى كل صورها ، ينتهى (مارسل) إلى إمكان قيام الاتصال بين (الأنا) و(الأنت) التى تتصاعد فتصبح "الأنت المطلق" الذى هو الله. وهذه النتيجة نلمسها -ولو ضمنياً- فى أول كتاب لمارسل. وأعنى به كتابه يوميات ميتافيزيقية. فالحب والصداقة يكشفان لى عن وجود الغير بأن يجعلان من هذا الوجود حضوراً بالنسبة لى فى نفس الوقت الذى أكون فيه حضوراً بالنسبة إليه : (أنا) فى مواجهة (أنت). وأساس هذه العلاقة بين الأنا والأنت هو العلاقة

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

التى تربطنى بنفسى ، فليس أبعد عن الصواب من القول بأن الـذات فـى هوية مع نفسها ، والواقع أنه ما من شىء أبعد عن البساطة ، وأقرب إلى الالتباس من العلاقة التى تربطنى بنفسى. وبتبسيط –هو فى الحقيقة تبسيط فاضح للعلاقة التى تربط الأنا بنفسها ، والتى تؤلف بصورة أعمق– الأنا من حيث هى كذلك. فالأحرى أن يتعلق الأمر بمدنية داخلية قابلة لأن تتخذ مظاهر متنوعة ومتباينة كالمدينة المرئية نفسها– وأنا أستطيع أن أعيـش مع نفسى كما أعيش مع حبيب ، أو صديق أو أخ ، بل أن أعيش معها فى بعض الأحيان كما أعيش مع ألد الأعداء. فإذا لم تـدرس هـذه الأحـوال المتباينة كل هذا التباين (للوجود مع الذات) دراسة تفصيلية ، فإنـه مـن المحتمل أن تظل الحقيقة النفسية لغزاً..

بالأصل فى الوجود أن يكون مشاركة فى الوجود Co-Existents وأن يتخذ صيغة (نحن) لا "أنا" فحسب ، وهذه المشاركة لا تقتصر علـى مجرد المعية فى الزمان والمكان. أى فى مجرد الوجود (مع) الآخريـن ، وإنما هى حضور متبادل واندماج. كما هى الحال فى الصـداق والحـب. فالأنا –كما يقول مارسل– لا يوجد إلا بقدر ما ينظر إلى نفسه على أنـه موجود للآخرين. "وكلما نجحت فى تحرير نفسى مـن سـجن التمركـز الذاتى، تزايد وجودى فى الواقع الفعلى..".(١٠٠)

ثمة مفاهيم أخرى تحتل مكانة كبرى فى فلسفة المشـاركة عنـد جبرييل مارسل ، ألا وهى مفاهيم الاتصال ، التلاقـى ، التفـاعل بيـن الذوات. ونحن نجد مارسل فى الجزء الثانى من كتاب "سر الوجود" يحاول الاستعاضة عن ميتافيزيقيا ديكارت القائمة على مبدأ (أنا أفكر) بميتافيزيقيا

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أخرى جديدة تقوم على مبدأ "نحن موجودون". ولابد للتفكير الفلسفى -فيما يرى مارسل- من أن يحرر نفسه من كل نزعة ذاتية متطرفة أو كل اتجاه انطوائى محض ، مما يؤدى إلى القول بـــذات اســـتمولوجية منعزلـــة أو بـــ(أنا) متعالية منفردة. والواقع أنا الأنا -فيما يقول مارسل- لا يوجد إلا بقدر ما ينظر لنفسه على أنه موجود للآخرين وبالتالى بقدر مـــا يعـــترف بأنه قد أصبح بند عن ذاته أو يفلت من اساره (الخاص) ومعنـــى هـــذا أن وجود الذات لا ينكشف إلا فى إطار من (التواصل الحى) مع غيرها مـــن الذوات. "وكلما نجحت فى تحرير نفسى من سجن التمركز الذاتى ، تزايد وجودى فى الواقع الفعلى". وكل التأملات الميتافيزيقية التى قامت عليهـــا فلسفة مارسل إنما تستند فى الحقيقة إلى هذا الوعى الأولى (السابق لكـــل معرفة) بوجود (أفق مشترك) يجمع بين ذاتى وذوات الآخرين فى وحـــدة أصلية لا تقبل الانفصال. "وأنا لا أشغل نفسى حقاً بالوجود ، اللهم إلا بقدر ما ينشأ لدى وعى متمايز -إن فى كثير أو قليل- بالوحدة الكامنـــة التـــى تربطنى بباقى الموجودات الأخرى ، وإن كان لدى من قبل فكرة أولية عن حقيقة وجود تلك الموجودات".

بيد أن الاتصال الحقيقى بين الذوات لا يكاد يحدث إلا فى لحظات (التلاقى) ، بمعنى أن تفاعل الحياة البشرية يتحقق فيما بين الـــذوات مـــن خلال أفعال (أو حركات) اللقاء الشخصى وليس من شك فى أن ظـــاهرة التلاقى الشخصى تعبر عن علاقة تختلف اختلافاً كيفياً عن أيـــة علاقـــة أخرى قد تتم بين الموضوعات الفيزيائية على المستوى الشيئى. ولما كانت (الشخصية) و(الشيئية) ضربين مختلفين تماماً من ضروب الوجود ، فـــإن من الطبيعى أن يقابلهما ضربان مختلفان تماماً من ضـــروب المعرفـــة أو

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الإدراك. وأية أنك لا تستطيع مثلاً أن تلتقى بذات بشرية أخرى ، وكأنك تصطدم بشيء أو تلتقى بموضوع ! ولو أنك اقتصرت على النظر إلى (الآخر) على أنه مجرد (شيء) لكنت بذلك كمن يحاول التعرف على الشخص فى البشرى بالوسائط المجعولة لمعرفة الأشياء. والواقع أن المرء بينما يفكر فى (الآخر) بضمير الغائب. أعنى باعتباره مجرد (هو) فإنه عندئذ إنما يجعل منه (موضوعاً) يحاول أن يتعقله كما يتعقل الطبيعة أو غيرها من الموضوعات. وأنا -مثلاً- حينما أجدنى فى عربة قطار ، بإزاء شخص غريب لا أعرفه ، فإننى أنظر إليه ، وأتأمله من الخارج ، وأحكم عليه عن بعد ، وكأن (حضوره) هو نفسه ضرب من (الغياب). ولكن بمجرد ما تنشأ بينى وبين هذا الغريب بعض الاتصالات الشخصية (كأن أعلم مثلاً أنه نازح من بلدتى ، أو أنه قد تتلمذ على يد أستاذ معين) أو أننا اشتركنا معاً فى معركة واحدة ، أو أننا اتفقنا معاً على الإعجاب بمؤلف معين أو فنان معروف.. الخ. فهنالك لا يصبح هذا الآخر مجرد (هو) أتصرف بإزائه كما لو أنه كان (غائباً) تماماً ، بل يستحيل إلى (أنت) أخاطبه بضمير المخاطب ، وأفكر فيه باعتباره (حاضراً). ومعنى هذا أن التلاقى الحقيقى هو ذلك الذى تتكشف لنا فيه (ذات) أخرى بوصفها (أنت) ، أعنى باعتبارها مركزاً شخصياً للذاتية. ونحن حين نكون بإزاء الشخص المحبوب ، فإننا لا نملك أن نجعل منه مجرد (هو) -حتى ولو كان غائباً- لأننا نفكر فيه دائماً باعتباره (أنت) أعنى أن (غيابه) نفسه هو فى صميمه (حضوراً) وصفوة القول أننا لا نعرف أية ذات أخرى اللهم إلا على مستوى (التلاقى) الوجودى..

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الهوامش

١- هنرى توماس : أعلام الفكر الأوربى : ترجمة عثمان نويه ، الجزء الأول ، سلسلة كتاب الهلال ، يناير ١٩٧٧ ، ص ١٥.

٢- د. عبد الرحمن بدوى : أفلاطون. وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٧٩ ، ص٤٥.

٣- هنرى توماس : أعلام الفلسفة وكيف نفهمهم ، ترجمة مترى أمين ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٤ ، ص ٦٩.

٤- د. حسين حرب : الفكر اليونانى ، أفلاطون ، سلسلة الفكر اليونانى، دار الفارابى ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٣٤ ، ٣٥.

٥- جون لويس : مدخل إلى الفلسفة ، ترجمة أنور عبد الملك ، دار الحقيقة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٧٨ ، ص٣٠.

٦- السابق : ص ٣٠.

٧- د . حربى عباس : ملامح الفكر الفلسفى عند اليونان ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٥ ، ص ٤٠٧.

٨- ارسطوطاليس : علم الأخلاق إلى نيقوماخوس ، ترجمة أحمد لطفى السيد ، دار الكتاب المصرية ، ١٩٢٤ ، ٢٤٢ - ٢٤٥.

٩- جان فان : طريق الفيلسوف : ترجمة ، ص ٣٧٧.

١٠- السابق : ص ٣٧٨.

١١- السابق : ٣٧٩.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

١٢- يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة ، دار المعارف ، ط٦ ، ص١٥٨.

١٣- السابق : ص ١٦٠.

١٤- السابق : ص ٣٩٠.

١٥- فؤاد كامل : الغير فى فلسفة سارتر ، دار المعارف بمصر ، ص ١٤- ١٦.

١٦- د. محمد عزيز الجبالى : من الحريات إلى التحرر ، دار المعاصر بمصر ، ص ٤٨.

17- R. B. Barns, The self concept : Theory, Measurement, Development and Behaviour, Longman, London and New York, 1984, pp. 6-12.

18- M. Sherif, Self Concept, in David L. Sills (ed) International Encyclopedia of Social Sciences, the Macmillan company & Eree Press, New York, 1968, Vol 13-14, p. 150.

19- Ibid. : p. 151-152.

20- R. B. Burns, op. cit., pp. 13-15.

21- Vanpossen, Beth E. : The structure of Socialunequality, Boston, Tittle and Lo, 1979 m, p. 206-207.

22- Toffler, A. : The third Wave, London, Pan Book, 1981, 124.

23- Stromlerg, R. W. : European intellectual History Since, 1989, p. 40.

٢٤- د. محمد عبد العزيز الجبالى : السابق ، ص ١٧٩.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

٢٥- د. عبد الغفار مكاوى : جذور الاستبداد ، عالم المعرفة الكويت ، العدد ١٩٢ ديسمبر ١٩٩٤ ، ص ١٠٧ - ١٠٨.

٢٦- اميل برييه : اتجاهات الفلسفة المعاصرة ، ترجمة د. محمود قاسم، سلسلة الألف كتاب ، دار الكشاف ، بيروت ، ص ٦٤- ٦٥.

27- Regin : Sorces of Cultural Estrangement ..... p. 142.

٢٨- د. زكريا إبراهيم : مشكلة الإنسان ، مكتبة مصر ، ص ١٦٠.

٢٩- جون ماكورى : الوجودية ، ترجمة د. إمام عبد الفتاح ، دار الثقافة المصرية ، ١٥٢ - ١٥٤.

٣٠- جان فال : طريق الفيلسوف ، ترجمة ، ص ٣٨٢.

٣١- جان لاكروا : نظرة شاملة على الفلسفة الفرنسية المعاصرة ، ترجمة د. يحيى هريدى ، دار المعرفة القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ١١٨.

٣٢- برديائف : العزلة والمجتمع ، ترجمة فؤاد كامل ، الهيئة المصرية العامة ، ص ٩١.

٣٣- جان لاكروا : السابق ، ص ١٠٢.

٣٤- السابق ، ص ٢٦.

٣٥- جون ماكورى : السابق ، ص ١٥٠.

٣٦- آى : فيلبس كرينيتر : الفلسفة والأدب ، ترجمة ابتسام عباس ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٩ ، ص ٢١٣ ، ٢١٥.

٣٧- جان فال : السابق ، ص ٣٨٢.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

٣٨- مقتبس فى : كيركجارد رائد الوجودية ، الجزء الأول ، د. إمام عبد الفتاح ، دار الثقافة ١٩٨٢ ، ص ١٩٧.

39- Kierkegard : The Journals, p. 43 (Oxford)

٤٠- مقتبس فى : كارل لوفيت ، من هيجل إلى نيتشه ، ترجمة ميشـــيل كبلو ، وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٨٨ ، جـــ١ ، ص ٢١.

٤١- السابق : الجزء الثانى ، ص ١٠٣ز

٤٢- فؤاد كامل : فلاسفة وجودية ، ص ١٧.

٤٣- د. على عبد المعطى : فى الفكر الحديث والمعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٢ ، ص ١١٣.

٤٤- السابق : ص ١١٤.

٤٥- كارل لوفيت : جـــ١ ، السابق ، ص ١٣٩.

٤٦- د. على عبد المعطى : السابق ، ص ١١٤.

٤٧- د. على عبد المعطى : سورين كيركجارد ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ ، ص ٢٢٧.

٤٨- فؤاد كامل عبد العزيز : فلاسفة وجوديون ، الدار القوميـــــة ، ص ٣٥.

٤٩- جوليفيه : المذاهب الوجودية ، ترجمة فؤاد كامل ، الدار المصرية، ص ٨١.

٥٠- جون ماكورى : السابق ، ص ١٧٦.

٥١- جوليفيه : السابق ، ص ٨٣.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

52- Heddegger : Bing and time, tram, tram by Macquarrie, New York, 1962, p. 166.

53- Ibid : p. 164.

54- Ibid : p. 220.

55- Schacht (R) : Alienation, Georg Allen, Uniwin, Lto. London, 1972, p. 200

56- Geddegger : op. cit., p. 166.

57- Ibid : p. 122.

58- Ibid : p. 221.

59- Ibid : p. 229.

٦٠- د. عبد الرحمن بدوى : دارسات فى الفلسفة الوجودية ، دار الثقافة، بيروت ، ط٣ ، ١٩٧٣ ، ٨٧.

٦١- فؤاد كامل : السابق ، ص ٣٦.

٦٢- ماكورى : السابق ، ص ١٦١.

٦٣- د. إمام عبد الفتاح : جدل الإنسان ، ص ٦.

٦٤- فؤاد كامل عبد العزيز : فلاسفة وجوديون ، ص ٥٢.

٦٥- د. يحيى هريدى : أزمة الحرية فى فلسفة سارتر (فى) سارتر مفكراً وإنساناً ، ص ١٥٩ - ١٦٠.

٦٦- د. زكريا إبراهيم : مشكلة الإنسان ، ص ١٦٠.

٦٧- د. على عبد الواحد وافى : نشأة اللغة عند الإنسان والطفل ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ص ٢٩.

٦٨- د. زكريا إبراهيم : السابق ، ص ١٦٠.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

٦٩- مقتبس فى : روجيه جارودى : قطرات حول الإنسان ، ترجمة د. يحيى هريدى ، المجلس الأعلى للثقافة ،١٩٥٣، ص١٢٤-١٢٥.

٧٠- د. محمد عبد العزيز الحبابى : من الكائن إلى الشخصية ، دار المعارف بمصر ، ط٢ ، الجزء الأول ، ص ٤٢.

٧١- أمير اسكندر : سارتر ومسرح المواقف (فى) كتاب سارتر مفكراً وإنساناً ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ، ص ٢٥٧.

72- Blacham, Sux Existentialism thinkers, Rouledge & Ke Paul, London, 1951, p. 151.

73- Heinmann, Existentialism and Modern Predicament, Adan & Charles Black, London, 1954, p. 125.

٧٤- فؤاد كامل : الغير فى فلسفة سارتر ، دار المعارف ، ص ٣٥.

٧٥- سارتر : جلسة سرية ، ترجمة مجاهد عبد المنعم ، ص ٣٧ - ٣٨.

٧٦- السابق : ص ٤٨.

٧٧- د. حسن حنفى : قضايا معاصرة فى فكرنا المعاصر ، دار أكتوبر ، ط١ ، ١٩٨١ ، ص ٢٠٦.

٧٨- سارتر : جلسة سرية ، ترجمة طارق فوده ، دار الثقافة ، القاهرة ، ص ٢٠٦.

٧٩- سارتر : لا مفر ، ترجمة جلال العشرى ، الهيئة المصرية العامة ، ١٩٧٧ ، ص ٧٦.

٨٠- هيجل : فينوفيولوجيا الروح ، ص ١٧٣.

81- Sater J., Being and Nothingnen, p. 364.

٨٢- سارتر : جلسة سرية ، السابق ، ص ٨٢ - ٨٣.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

٨٣- آى فيلبس كرينيتز : الفلسفة والأدب ، ترجمة ابتسام عبـــاس ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ٢١٣ - ٢١٤.

٨٤- د. مصطفى فهمى : الدوافع النفسية ، مكتبة مصـــر ، ١٩٥١ ، ص ٦١.

85- Ogbern & Ninkoff : A Handbook of Sociology, London, 1953, p. 434.

86- Berdyaev : Slavery and Freedon, trans by Duddington, 1944. p. 131.

87- Ibid : p. 132.

٨٨- جون ماكورى : الوجودية ، ترجمة د. إمام عبد الفتاح ، ص ١٤٩.

٨٩- اريك فروم : الإنسان بين الجوهر والمظهر ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ص ١٣٢.

٩٠- د. زكريا إبراهيم : دراسات فى الفلسفة المعـــاصرة ، دار مصـــر للطباعة ، الجزء الأول ، ص ٤٩٦.

٩١- د. على عبد المعطى : فى الفكر الحديث والمعاصر ، دار المعرفـــة الجامعية ، ١٩٩٢ ، ص ٤٨.

٩٢- مقتبس فى السامية : ص ١٧٣.

٩٣- جبرييل مارسل : رجل الله.. سلسلة من المسرح العالمى ، الكويت، ديسمبر ١٩٧١ ، ص ١٠٦.

٩٤- السامية : ص ٦٨- ٦٩.

٩٥- المسرحية السابقة : ص ١٣٩.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

96- Ludwig Feurbach : The Essence of Christionity, trans by George Etiot Harper Torchbook, New York, 1957, p.3.

97- Ibid : p. 204.

٩٨- جبرييل مارسل : رجل الله ، ص ١٤٤ - ١٤٧.

٩٩- السامية : ص ١٧٢.

100- Fromm : Man for Himself, p. 84.

١٠١- مقتبس فى : الاغتراب عند اريك فروم ، د. حسن حماد ، المؤسسة الجامعية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥ ، ص ١٣٦.

١٠٢- فؤاد كامل : فلسفة الدين ، الهيئة المصرية العامة ، ١٩٨٤ ، ص ١٠٢ - ١٠٣.

١٠٣- نقلاً عن : د. زكريا إبراهيم : دراسات فى الفلسفة المعاصرة ، الجزء الأول ، ص ١٩٧ - ٤٩٩.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com